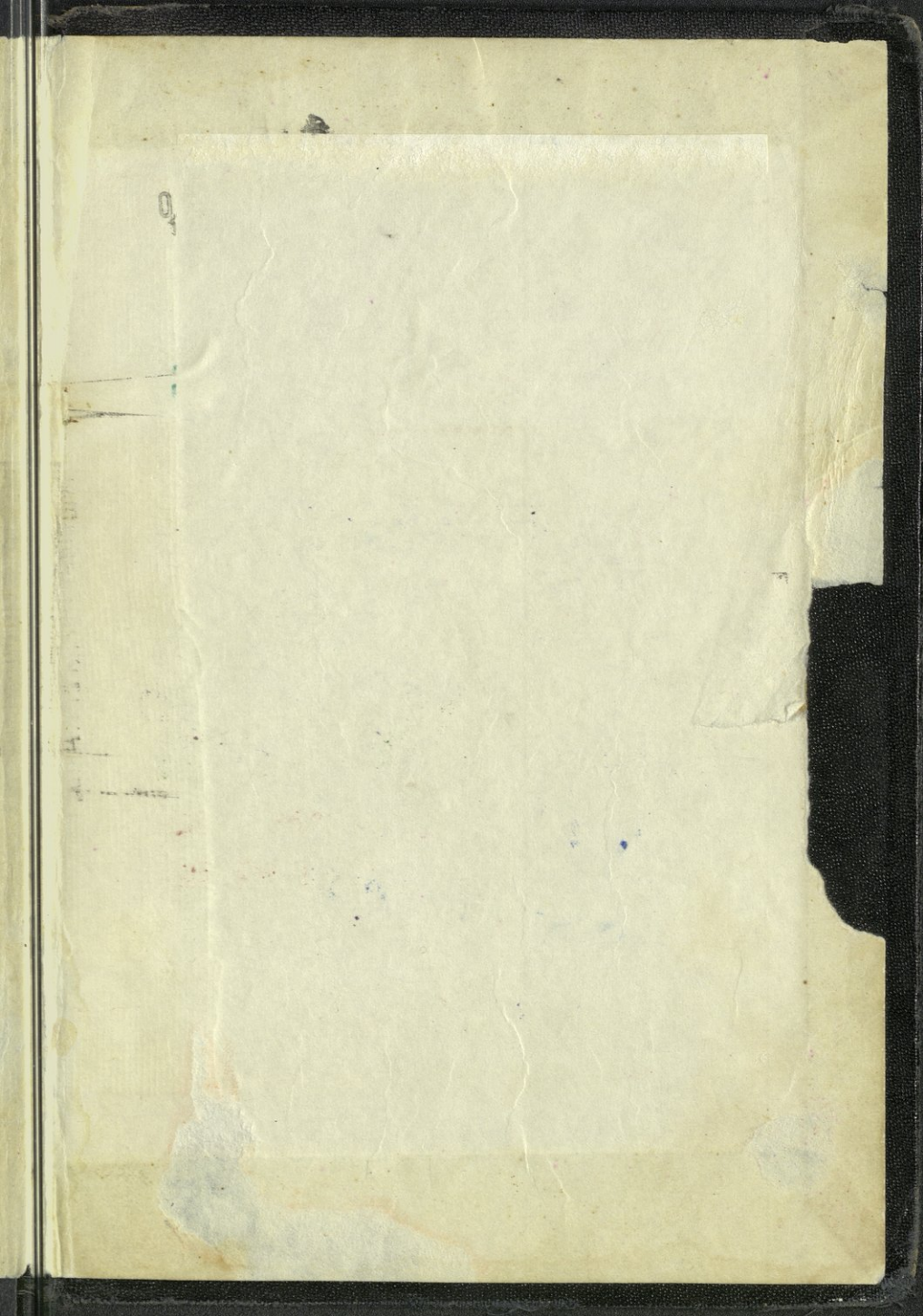
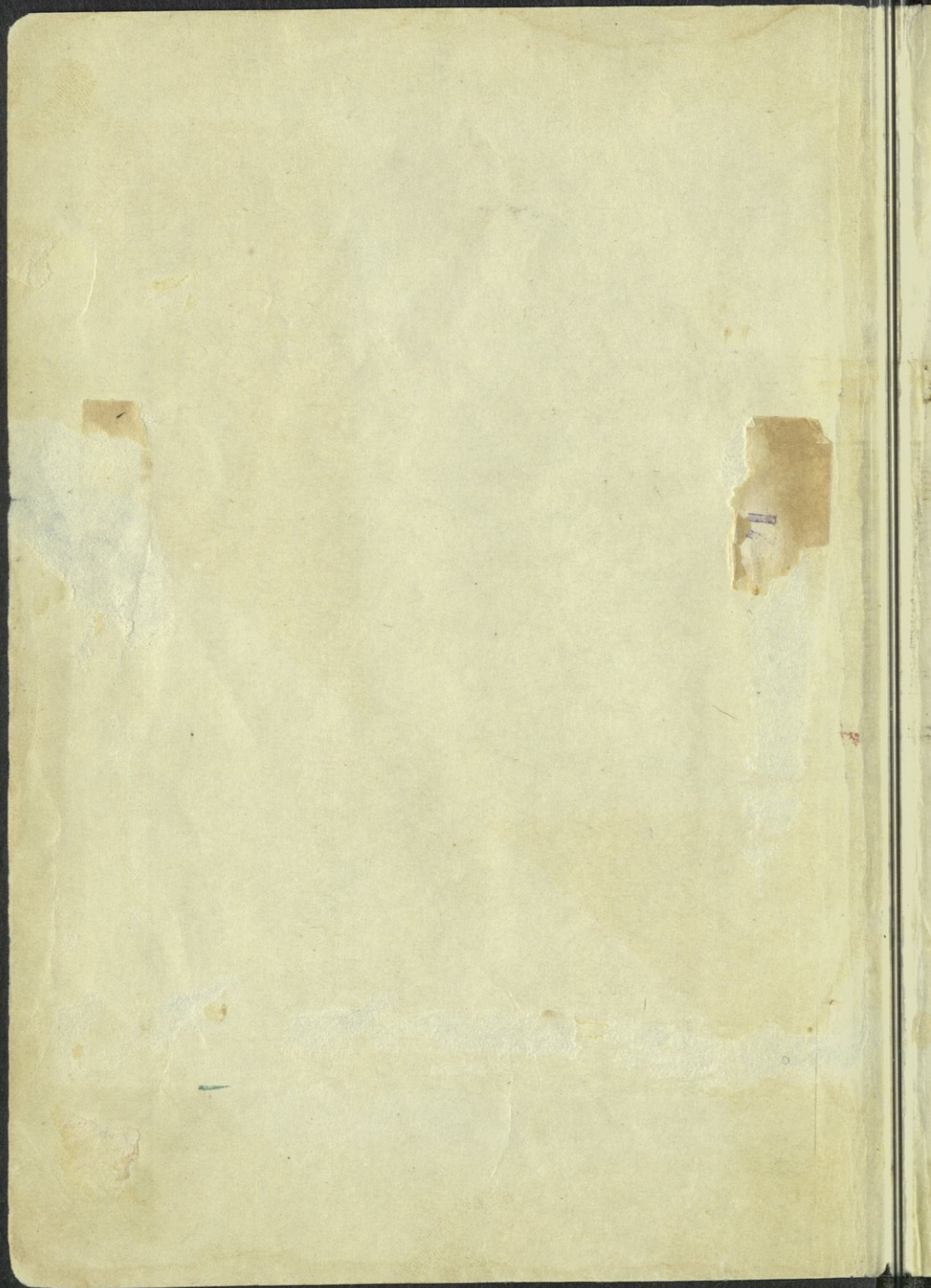
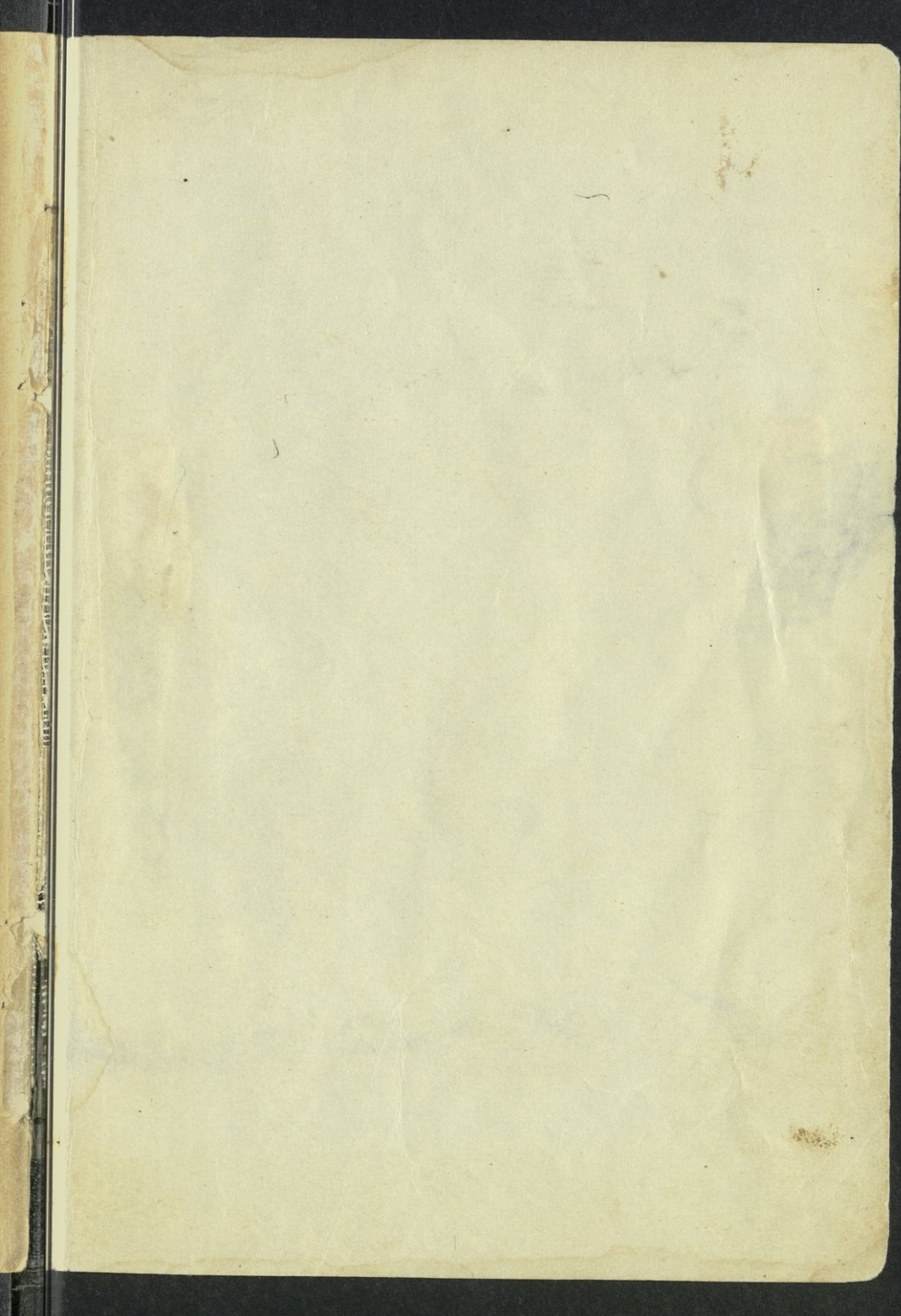


زیاده

رسائل می







رسائل الشيخ محمد صالح

صَفَحَاتٌ وَعِبَرَاتٌ مِنْ أَدَبِ مَيِّ الْخَالِدِ

892.78

Z82rsA

تقديم

صميل مبر

بقلم

مى زبادى

منشورات مكتبة بيروت

بيروت ١٩٥١

ما أخذ



كتب:

باحثة البادية

مي وجبران

امين الريحاني ، الرجل الاديب

مجلدات:

الهلال

المقتطف

المحروسة

لمى زياده

لمجمل جبر

لمجمل جبر

مقدمة

لا تذكر النهضة النسائية في الشرق العربي الا ويتسابق الى
الاذهان توأ اسم مي . مي الادبية المجاهدة التي عاشت ما كتبت
فكانت حياتها المليئة خير ما تركت من الآثار .

ولدت ماري زياده (١) في ناصرة فلسطين حيث ترعرعت
وانتمت مبادئ الدروس . حتى اذا بلغت عامها الرابع عشر دخلت
مدرسة عينطوره في سنة ١٨٩٩ . وهناك عرفت بقوة الشخصية
وحدة الذكاء وغرابة الاطوار .

كانت دقيقة الملاحظة ، انيسة العشرة ، رضية الخلق ، تحب
اللهو والضحك والحركة . ولكنها كانت غريبة الروح ، موحشة
الفؤاد تميل الى العزلة فتخلو بنفسها لتنهتد وتشكو وتكتب
وتحسد العصافير المرفرفة حولها ، تفرقز على هواها حرة طليقة .

وغادرت مي مدرسة عينطوره سنة ١٩٠٤ الى الناصرة حيث
اقام ابواها وقد انجزت دروسها الثانوية بتفوق ملموس فعاشت في
تلك المدينة غريبة ، الا عن والديها ، تفنش عن طريقها متأوهة
لا تستكين .

(١) ابوها لبناني من قرية شحتول في فتوح كسروان ، وامها فلسطينية الاصل .

هل ترضى بعيشها الخامل المقفر فتكتفي وتستقر ؟ لا بل
تتحرر من قيود وضعها فتستثمر كل ذاتيتها الحسية وتملاً
وجودها وتفعل .

وانتقلت الى القاهرة مع ذويها حيث مجال العمل ارحب
واطلاق ، غير ان امكاناتها المادية المحدودة حتمت عليها ان تبقى غريبة
هناك ايضاً . فلا الاوساط الراقية كانت تعرفها فتقدر موهبتها ،
ولا مواردها المالية كفت لتمتيع لها الظهور ، فاضطرت الى ان
تحيا على الهامش حيناً ، فتألمت وشكت الى نفسها حرقه النفس
وعزمت على ان تلمع ... او تموت .

في مسكن صغير آمن يكاد يخلو الا من ضروري الاثاث ،
جلست ماري الى طاولة مستديرة تأمل وتدرس ، ليل نهار ،
لا تبالي مطلقاً بنهي والديها عن جهد عقلي قد ينهك قواها .
فطالعت في وحدتها تلك لمرتين وكورناي وشار وبيرون
وشلي ، وساحت معهم في اثير الشعر تحاول التفلت من وضعها
الجائر ، وطالعت ايضاً سير من اشتهرن ووجهن من الادبيات ،
ولا سيما مدام دي سيفينييه وجورج صند ومدام دي ستال ،
فتساءلت غير مرة لم لا تسير هي في اثرهن ولا الحسن ينقصها
ولا العزم ولا الذكاء ...

ومن الاحلام ما اذا عاشها صاحبها لا تلبث ان تتحقق .
احست ابنة الياس زياده بميل جامح الى الاخراج فجعلت تكتب
بالفرنسية ، شعراً ونثراً ، وتنقح وتقبل وتهيء للنشر بعض

مقطوعات ١ واذا ايقنت ان اسمها لا يستلفت انتباه القراء
فيقبلوا على تذوق كتاباتها وهم مفطورون اجمالاً على الاخذ
بالظاهر ، اختارت لها اسماً مستعاراً موسيقي الوقع يثير الفضول :
ايزيس كوبيا (١) وقعت به منشوراتها الاولى ، وثقتها بالنجاح
لا تحدد .

وشقت ايزيس كوبيا طريقها في اوساط الادب المصرية بعد
صدور باكورتها Fleurs de rêve (٢) ، فلهجت بذكرها المجالس
متسائلة من تكون تلك الاديبة الشاعرة ، الى ان ظهرت ماري
زياده آخر الامر وانطلقت انطلاقاً الحزم والايمان .

بيد ان هذه الشهرة التي طالما سعت اليها مي وحسبتها الدواء
الناجع لقلقها لم تحررها طويلاً من ربكة الكتابة . فما هي ايام حتى
عاودها السأم فشعرت بعقم الحياة الرتيبة واحست بالفراغ القائم
يسود اعماقها ولا يغيب . وتطلعت الى المرأة ، ذات صباح ،
تناجي نفسها الشرود فبدت لها غضاضة الصبا في اكمل حلقاتها
واهبج . وتراءى لها في الخيال الغد الرهيب ، يسم النضارة ساعة
فساعة ، فالقت بيدها تعباً عند موقع القلب ، وتمتعت بمتعة :
ما اقصى الزمان . وانصرفت الى حديثها تعنى بها وتعنى ، ثم
عادت الى غرفتها ولما تنفرج ، فتناولت قيثارتها الصفراء ووقعت
« برساز » شوبان وهي لا تنفك واجمة حزينة ، اذا سالتها امها

(١) ايزيس زوجة اوزيريس ترمز الى العذراء - ماري - وكوبيا

هي ترجمة زيادة في اللاتينية .

(٢) ازهار حلم

عما بها حاولت التبسم واستبجفت السؤال . وماذا اقلق مياً
وعذبتها الا وحشتها الجافة التي سعت عبثاً لان تبدها فتستقر .

وعاودها الشوق الى مدرسة عينطورة ، الى ايام تلمذتها ، الى
ضنين والوادي والبحر والارز ، وما سلخت ازاءها من فلذات
متأججات عن ذاتيتها القتية ، فامت لبنان سنة ١٩١١ في طلب
الترفيه والساوى ، وكانت شهرتها الادبية قد تقدمتها اليه .

وفي لبنان قصدت ظهور الشوير فابتنت لها « كوخاً اخضر »
في حضن الطبيعة تحول سريعاً الى محجة كتاب العصر ، وقد
ارادته خاوة هادئة تحلم في كنفها وتكتب وتلهو .

وهناك في هدأة الكوخ الاخضر ، راحت تترجم « الحب
في العذاب » باسلوب عربي عذب . حتى اذا جاء الخريف عادت
وذووها الى مصر ولما تزل تشكو الفراغ الذي لم تكن لتملأه
طويلاً ، لا الحفاوة البالغة التي لقيتها حينما حلت ولا خواطر
مولر الشعرية وذكرياته الغبراء .

وابتسمت مي لمودعيها وابتسمت وهي تغادر ربوع لبنان .
ورب ابتسامه زاهية ، حجبت شقوة النفس .

وفي مصر كتبت مي بجرأة واستمرار ، في « المحروسة » مجلة
ايبيا ، وفي « البروغره » وغيرهما من الصحف المصرية ، فاجتذبت
اليها انتباه الادباء ، فالتف حولها عدد من البارزين بينهم ،
جعلوا من منزلها صالة لهم ، كانوا يرتادونها ، كل ثلثاء ، فيتباحثون
في شؤون التأليف والفنون والثقافة ويتشاورون ، في جو رصين

يشيع فيه الطمأنينة حسن الفتاة العذب يعززه الذكاء (١)

وفي تلك الحلقات الادبية الدورية طالعت مي مقالاً لجبران خليل جبران ، فاستدوقت نهجه واستودت ، وقد لقيت لديه غصة ألم وضراوة وحشة وفورة جموح طالما تنازعتها هي فاورثتها القلق الذي لا يهادن .

ولم تكتف بمطالعة جبران وحسب ، بل راحت تستوضح سيرته واوضاعه باهتمام جدي ، كأنها هي ارادت ان تكتشف الينبوع الاصيل الذي فجر ذلك النتاج .

وعنّها ان تكتب اليه ، ولكن كيف تفعل وهي لا تعرفه ، وبعد تردد طويل تناولت ريشتها وخطت اول رسالة منها الى جبران . وكان ذلك في ٢٩ اذار سنة ١٩١٢ .

استهلت مي رسالتها بتعريف ذاتها فقالت : « امضي مي بالعربية ، وهو اختصار اسمي ، ومكون من الحرفين الاول والاخير من اسمي الحقيقي الذي هو ماري وامضي « ايزيس كوبيا » بالفرنجية ، غير ان لا هذا اسمي ولا ذاك . اني وحيدة والذي وان تعددت القايي » . وراحت تحدّثه عن حالتها في مصر ، وعن تاليفها وطريقة حياتها ، وعن مشاريعها الادبية وما اليها من شؤون خاصة بها ، ما كانت لتذكرها ، لو انها لم تشأ ان ترضي كبرياءها الانثوي باقناعها جبران بانها ليست متطفلة عادية تكتب اليه ...

(١) من رواد صالحتها ولي الدين يكن ، طه حسين ، خليل مطران شبلي الشميل ، انطون الجميل ، اسماعيل صبري ، يعقوب صروف ، المازني ، العقاد .

واستمرت من ثم هذه المراسلة خصيبة بالشعور حتى وفاة جبران .

ونشبت الحرب الكونية الاولى فانقطعت المواصلات بين العالمين ، القديم والجديد ، فجزعت مي وترقت ، على مضض ، انفراج الازمة . الا انها لم تهمل صالتها العامرة ولم تنقطع عن الكتابة ، عزائها الاوحد ، بل واصلت ابحائها في مجالات المحروسة والمقتطف والمقطم والهلل .

وقد درست بنوع خاص وضع المرأة الشرقية وبيئتها وطبيعتها فوضحت موجباتها ، وايدت حقوقها ، واتخذت من باحثة البادية مثلاً اعلى للجهاد النسائي . وقد دفعها حبها للاستزادة من العلوم الى الالتحاق بالجامعة المصرية حيث تعمقت في درس الفلسفة العامة والفلسفة العربية وعلم الاخلاق على المستشرق الاسباني الكونت جلارزا . وبعيد الحرب نشرت كتابها « باحثة البادية » فلاقى استحساناً كبيراً في اوساط الادب في مصر وفي غير مصر . فازدادت ثقها بنفسها وجمعت بعض ما كتبت في المقتطف والهلل والمقطم ونشرته على التوالي في « ظلمات واشعة » « بين المد والجزر » ، « الصحائف » ، « سوانح فتاة » . كما جمعت عدداً من خطبها في « كلمات واسارات » .

وكان الحنين يلج بها دوماً الى لبنان فجاءته مرتين (١)

(١) كانت تستقبل في لبنان استقبال الفاتحين فتقام على شرفها الحفلات التكرمية حيث تهل .

والقت فيه محاضرات قيمة عن رسالة المرأة . وفي سنة ١٩٢٥ سافرت الى ايطاليا تشاهد فيها عن كُتب روائع رافائيل وميكالنجلو ودافينشي وغيرهم من اعلام الفن العالمي الخالد .

واخذ الزمان يعبس لمي سنة سنة ١٩٢٨ ، فمات على التوالي صديقها يعقوب صروف ، وابواها وجبران ، فوجدت نفسها هزيمة وحيدة ، في ذلك المنزل الذي طالما عمر برواد صالتها وعودها في كنف ذوبها الطمأنينة والرخاء . فاعتزلت العالم ظناً منها ان الوحدة خير بلسم لكلومها المعنوية ، ولكنها لم تلبث ان ضاقت بوحدتها تلك ، فنقمت على منزلها وما فيه من اشياء تذكرها بالامس الرغيد، فسافرت الى فرنسا سنة ١٩٣٢ وجالت في حواضرها ، وتوجهت منها الى انكلترة حيث زارت بلد شكسبير واكسفورد ، وانتقلت الى سويسرا فايطاليا متلمسة في كل مكان عزاء يدوم . ولكن نفسها القلقة كانت تترجع دوماً في فجوة القلب الطعين ، فملت السياحة وعاندها الحنين الى القلم ، فرجعت الى مصر ، وغيّرت منزلها ، وراحت تترجم اعلام الفكر الاغريقي ، وتطالع ورث ورينه وتأملات لامرتين ، محاولة ان تذهل عن نفسها حيناً في غمرة العمل المرهق .

وضاق بها الجو ثانية، فركت البحر الى ايطاليا حيث درست، في جامعة بروجيه ، آثار اللغة الايطالية وجالت في متاحفها التي أوحث اليها بالامس ابلغ الاعجاب . ولكنها لم تكن لتستقر على حال ، فاخذت هنالك عوارض الاعياء العقلي تظهر في جسدها

المثقل بالهموم والمشقات ، فتعبت من الكتابة فاستعانت بـ
سكرتيرة وهي تترجم بعض المآسي .

وعادت الى مصر ، فاشتد عليها المرض وازداد تبرمها بالحياة
فقصدت لبنان ، موطنها الاول ، تطلب الاستشفاء في ربيع سنة
١٩٣٧ . ولكن على غير طائل . فرجعت الى القاهرة تجر ايامها
جرأ حتى كانت خفقة قلبها الاخيرة في ١٩ تشرين الثاني سنة ١٩٤١
اما رسائل مي فقد قال عنها انطون الجميل :

« رسائل مي يجب الاحتفاظ بها لانها نوع جميل من ادب
الرسائل في الادب العربي ، ففي الادب الفرنسي رسائل لامثال
فلوير وفولتير وغيرهما ، وفي هذه الرسائل تستطيع دراسة
الكاتب اكثر من دراسته في مؤلفاته . وعندي لمي بضع رسائل
اعتز بها لانها اثر باق من آثارها . ورأي ان تجمع رسائلها
الى من اتصلوا بها ، وتشر في كتاب خاص ، ففيها ولا شك
ثروة كبيرة ، وتراث ادبي نفيس .

« رحم الله ميأ ، لقد كانت على اطلاع واسع الحدود ، فسيح
المعالم ، وكانت شخصيتها تثب مستقلة من خلال افكارها
وكتاباتنا . فما قلدت كاتباً ، ولا حاكت مؤلفاً ، ولجئنا
ترجمت خلجات نفسها او وحي ضميرها ، وسر شعورها . وكانت
رفيعة في نقدها ، رقيقة في مخالفة رأي غيرها . فما آذت شعوراً
ولا جرحت احساساً » .

جميل جبر

الى بائنة البادية

سنة ٩٠٢

بائنة البادية هي ملك حفي ناصف الكاتبة المصرية المعروفة واحدى
المجاهدات البارزات في سبيل تحرير المرأة . كتبت عنها مي مؤلفاً
عنوانه « بائنة البادية » وقبل ان تتعرف اليها كتبت اليها
الرسالتين التاليتين :

* * *

ترغمت باسمك قبل ان اعرفك ، واتخذت ذكرك عنواناً
لنهضة المرأة المصرية قبل ان اطالع مقالاتك لان اصوات الجمهور
قد اتفقت في الشفاء على فضلك . غير اني عثرت بالامس على
مجموعة كتاباتك النفيسة فالتحيت عليها ساعات طويالات فيها خيل
لي اني اقلب صفحات نفسك المفكرة المتوجعة .

ثلاث سنوات مضين ، وتلك المجموعة محفوظة بين دقات
المكاتب او مبعثرة بين الاوراق والاسفار المتراكمة يوماً بعد
يوم . لكن سرها ما زال مترقباً يداً تلمسه ، مستعداً لمناجاة
نفس تلمسه .

سنوات ثلاث فيها مشت البشرية خطواتها المكدودات متعثرة
بالعظام والجماجم ، منشدة اهازيج النصر الكاذب وتهليل الفخر

الباطل ، وقواها الغالية تسيل على شفار السيوف ، ودماء حياتها
تجري انهاراً في سهول قد اخفت نجمها الجميل وثمراتها الممتعة خوفاً
من وحشية الانسان .

سنوات ثلاث فيها شعرنا بارتداد صدمات السياسة والاقتصاد
والاطماع المتزايدة. فيها ارتفعت دويلات جادة مجتهدة وتمشمت
اعضاء تركيا العظيمة بتاريخها الضعيفة باهمالها وتهاونها . وقد جاش
لذلك كل ما في صدر الاسلام من النخوة القديمة وبكت له قلوب
الغيورين على مصالح بني عثمان .

كل ذلك ومصر مصر بكآبئها وانعطافها واندفاعها . كل ذلك
ونحن هائمون على وجعنا في صحراء الفوضى . صخور التقاليد
القديمة تدمي اقدامنا الجديدة ، واشواك الاصطلاحات تجرح
ايدينا الممتدة للمس اشياء نظنها موصلة الى حياة نريدها عظيمة .
والسراب الجميل اللامع في صدور المستقبل غير المحدود يستدعينا
أمرأ كأنه نظرة عين فتانة ، فنجري في الصحراء ولا ندرى الى
اين المصير !

سنوات ثلاث مررن على يوم فيه ارتفع صوتك مرشداً .
عائلتنا لا تزال على ما كانت عليه ، وافكارنا لم تتغير الا قليلاً ،
وعواطفنا ما برحت حائرة بين تيارات متعاكسة دائمة الاضطراب
بين ما ندعي اننا نعلم وما نجهل اننا لا نعلم ! غير ان الاصداء

الخفية ما زالت ترجع همس ذلك الصوت الرخيم .

بالامس لمست نفسك وقرأت افكارك فعثرت على جراح
بليغة وددت تقبيلها بشفتي روحي ، وما اطبقت الكتاب الا وانا
الثم بناني على غير هدى . ولم يكن ذلك الا اجلالاً لصفحات
قلبها وحباً لنفس استجوبتها فعرفتها .

فيا من «ارتفع قلبها الى فكرها وانحنى فكرها على قلبها» ،
ايتها الباحثة الحكيمة ، لماذا تصمتين ؟

تتوالى الايام ونحن في ضلال مبين . الرجل يجاهد في حرب
الاقتصاد الدائمة . الرجل تائه في مهامه الاشغال فاذا كتب بحث
في العموميات ، واذا جال قلمه في الخصوصيات فهو لا يستطيع
البلوغ الى نور الوجدان النسائي لانه يكتب بفكره ، بانانيته ،
بقساوته . والمرأة تحيا بقلبها ، بعواطفها ، بحبها .

علاتنا مستعصية لا يشفيها الا طبيب يعرفها . والمرأة
بعلة جنسها ادرى فهي تستطيع معالجتها . ولا تطلب هذه الخدمة
الشريفة من فتيات لا يعرفن من الحياة الا ما يصوره لهن الخيال
الحميم بطلانه على منابت العواطف المخبضة . هذا اعتراف ساذج
صادق : الفتيات لا يداعبن القلم الا لينثرن الدموع او ليصورن
الابتسامات . وما تجاوز ذلك علامات استفهام متتالية وان لم
يرَ فيها من الاستفهام شيئاً .

لكن الزوجة والام التي اعطيت ذكاء وفطنة وعلماً وشعوراً
قوياً تدرك بواسطته كل ما في الحياة من حلاوة ومرارة ، تلك
تستطيع وضع المرأة في مركزها السامي ، وتلك تقدر ان تعمل
في مزج نصفي الشخصية المتألمة ، شخصية المرأة وشخصية الرجل .

فيا سيدتي

لدينا قلوب تحترق ولا ندري اي نار تحرقها ، وتلتهب شغفاً
بما لا تعرف ماهيته ، فعلمينا انت التي كنت فتاة قبل ان
تكوني امأ كيف نرشدتها والى اين نوجهها !

لدينا نفوس عزيزة تنحو فيها ميول مبهمه ورغبات حارة
فارشدنا اي الاعشاب فاسد فتقلعه وايها الصالح فنسقيه ماء
الرعاية والحنان .

قولي يا سيدتي تكلمي !

ضمي يدك البارة الى الايدي التي تحاول رفع هذا الجيل من
هوة الخيرة والتروء . ساعدي في تحرير المرأة بتعليمها واجباتها .
ان صوتاً خارجاً من اعماق القلب ، بل من اعماق الجراح
كصوتك ، قد يفعل في النفوس ما لا تفعله اصوات الافكار .
لا يهمننا ان تخفي تلك اليد النحيفة وراء جدران خدرك وان
تحجبي هيئتك الشرقية وراء نقابك الشعري ، ما دمنا نسمع
صوتك في صرير قلمك ونعرف منك الروح العالية .

فهنيئاً لوطن يضم بين ابنائه مشيلاتك ، وهنيئاً لصغار يستقون
وعود الهناء من ابتساماتك ويسكبون حياتهم في قالب حياتك .

می

الى جبران

في ١٢ ايار سنة ١٩١٢

طالعت مي « الاجنحة المتكسرة » لجبران فكتبت اليه تطري نهجها
الطريف ولهجتها الصادقة ، وتناقشه في موضوع الزواج . فنقول :

... اننا لا نتفق في موضوع الزواج يا جبران . انا احترم
افكارك ، واجل مبادئك ، لانني اعرفك صادقاً في تعزيزها
مخلصاً في الدفاع عنها ، وكلها ترمي الى مقاصد شريفة ،
واشارك ايضاً في المبدأ الاساسي القائل بحرية المرأة . فكل رجل
يجب ان تكون المرأة مطلقة الحرية بانتخاب زوجها من بين
الشبان تابعة في ذلك اميالها وهاماتها الشخصية ، لا مكيفة حياتها
في القالب الذي اختاره لها الجيران والمعارف . حتى اذا ما
انتخبت شريكاً لها ، تقيدت بواجبات تلك الشركة العمرانية تقيداً
تاماً . انت تسمي هذه سلاسل ثقيلة ، حبكتها الاجيال ، وانا
اقول انها سلاسل ثقيلة ، نعم . ولكن حبكتها الطبيعة التي
جعلت المرأة ما هي ؛ فان توصل الفكر الى كسر قيود
الاصطلاحات والتقاليد ، فلن يتوصل الى كسر القيود الطبيعية
لان احكام الطبيعة فوق كل شيء . لم لا تستطيع المرأة الاجتماع

بجيبها على غير علم من زوجها ؟ لان باجتماعها هذا السري ، مهما كان طاهراً تحون زوجها وتحون الاسم الذي قبلته بملء ارادتها وتحون الهياة الاجتماعية التي هي عضو عامل فيها .

عند الزواج تعد المرأة بالامانة ، والامانة المعنوية تضاهي الامانة الجسدية اهمية وشأناً . عند الزواج تتكفل المرأة باسعاد زوجها ، وعندما تجتمع سرّاً برجل آخر تعد مذنبه ازاء المجتمع والعائلة والواجب . ربما اعترضت على هذا بقولك : ان الواجب كلمة مبهمه يعسر تحديدها في احوال كثيرة ، فليس لنا الا ان نعلم « ما هي العائلة » لنجد الواجبات التي يفرضها على افرادها . ودور المرأة العائلي هو اصعب الادوار واوضعها وامرها .

اني اشعر شعوراً شديداً بالقيود المقيدة بها المرأة ، تلك القيود الحريية الدقيقة كنسيج العنكبوت المتينة متانة اسلاك الذهب . ولكن اذا جوزنا لسامى « سامى كرامه بطلة الرواية » ولكل واحدة تماثل سامى عواطف وسمواً وذكاء ، الاجتماع بصديق شريف النفس عزيزها فهل يصبح لكل امرأة لم تجد في الزواج السعادة التي حلمت بها وهي فتاة ^{ان} تختار لها صديقاً غير زوجها ، وان تجتمع بذلك على غير معرفة من هذا ، حتى وان كان القصد من اجتماعها الصلاة عند فتي الاجيال المصلوب .

الى الانسة مى

سنة ٩١٢

ردت باحنة البادية بالرسالة التالية :

تفضلت فكتبت اليّ كلمتك العذبة في الجريدة و كنت اذ
ذاك بين محالب الموت فلم يكن في وسعي ان امسك القلم لارد
عليك وان كانت مخيلتي لم تبخل بالرد . كانت رسالتك عزاء
جميلاً لي في مرضي الطويل المؤلم وبلسماً ملطفاً لجراحي البالغة
التي قلت انك عثرت عليها . آلامي ايتها السيدة شديدة ولكنني
انقلها بتؤدة كأني اجر احمال الحديد فهل تدرين يا سيدتي ما
هو لي . ليس لي بحمد الله ميت قريب ابكيه ولا عزيز غائب
ارتجيه ولا انا ممن تأسروهم زخارف هذه الحياة الدنيا ويستولي
عليهم غرورها فاطمع في اكثر مما انا فيه وليس لي حال سيء
أشكيه ولكن لي قلباً يكاد يذوب عطفاً واشفاقاً على من يستحق
الرحمة ومن لا يستحقها وهذا علة شقائي ومبعث آلامي . ان قلبي
يتصدع من احوال هذا المجتمع الفاسد . مهلكة ؟
وما لي احمل نفسي اعباء غيرها . وليست بمسيطرة على هذا
العالم ولكنني كنت عاهدت نفسي على الاخذ بيد المرأة المصرية

ويعزّ علي ان اتخلي عن هذا العهد وان كان تنفيذه شاقاً ومحفوفاً
بالصعوبات ويكاد اليأس يسد طريقي اليه .

كنت اعتزلت الكتابة لا لنضوب مادتها عندي ولا اكتفاء
بالقليل الذي كتبت من قبل ولكفي كنت مللت المناذاة بإصلاح
المرأة المصرية وثبط عزمي مما اراه من انصراف فئة المتعلمين
والمعاملات الجدد عن العمل لتكوين القومية المصرية المطلوبة وما
حركتهم التي ملأوا بها القطر صرخاً الا عنوان نهضة كاذبة .

تسأليني يا سيدتي ان ادلك وسط هذه الاحوال المتضاربة
والآراء المتشعبة عن الطريق الذي يحسن بالفتاة نهجه وانها لحال
توجب الحيرة ولا ندرى اي الطرق نسلك لنصل سريعاً الى الغاية
التي نقصد اليها . كلنا يرمي الى تقدم الفتاة وتنورها واعدادها لان
تكون زوجة صالحة وأماً نافعة ابناها ووطنها ولكن لكل مناد
بالاصلاح وجهة هو موليها . فبعضهم لا يرى لهذا التأخر والجهل
من سبب الا كان راجعاً للحجاب وهؤلاء قرروا وجوب سفور
المرأة المصرية حالاً ونسوا حكمة التأني والتحفظ عند ارادة
الانتقال من طور مظلم مألوف الى طور لم يعهد من قبل
تكتنفه المدهشات واللوامع البراقة الجذابة التي تكاد تغشي
الابصار .

وفريق لا يرى للسفور فائدة ويقول ان الحجاب لا ينفي

العلم وان اطلاق الحرية للمرأة اخيراً كانت سبباً لفسادها وان
اطراد تعليم المرأة وتثقيفها سيكون مجلبة للشغب ولخروجها عن
حدود وظيفتها في المستقبل كما خرجت اختها الغربية الآن .
فاي الطريقين نسلك ومن نتبع ؟ اننا معشر النساء لا يزال ظلم
الرجل يرهقنا واستبداده يأمر وينهي فينا حتى اصبحنا ولا رأي
لنا في انفسنا فاذا قال لنا اختبئي حتى تدفن بالحياة صوناً لكن
وتدليلاً كما يقول المتنبي في رثاء اخت سيف الدولة :

(على المدفون قبل التراب صوناً)

و كقوله في اخت ممدوحة الثانية من رثاء ايضاً :

وما رأيت عيون الانس تدركها

فهل حسدت عليها عين الشهب

وهل سمعت سلاماً لي ألم بها

فقد أطلت وما سلمت عن كذب

من ١٥٠٠

اذا امرنا الرجل ان نحتجب احتجبنا واذا صاح الآن يطلب
سفورنا اسفرنا ، واذا اراد تعليمنا تعلمنا فهل هو حسن النية في
كل ما يطلب منا ولاجلنا ام هو يريد بنا شراً ؟ لا شك انه
اخطأ واصاب في تقرير حقنا من قبل ولا شك انه يخطئ
ويصيب في تقرير حقوقنا الآن .

نحن لا نابي ان نتبع رأي العقلاء والمعامين من الامة

ولكننا لا يمكننا كذلك ان نعتقد ان كل من يتصدى للكتابة
في موضوع المرأة من العقلاء المصلحين . ليدعنا الرجل نمحص
آراءه ونختار ارشدها ولا يستبد في (تحريرنا) كما استبد في
(استعبادنا) . اننا سئمننا استبداده . اننا لا نخاف من الهواء
ولا من الشمس وانما نخاف عينيه ولسانه فان وعدنا ان يغض
بصره كما يأمره دينه وان يكن لسانه كما يوصيه الادب نظرنا في
أمرنا وأمره ، والا فكل منا حرّ يفعل ما يشاء . والسلام
عليك ايها الفاضلة من المعجبة بك المثنية على ادبك الجم وعلمك
الغزير .

باصّة البادية

الى بائنة البادية

سنة ٩١٣

ليس أعز لدينا من لطفك الاحزمك وصراحتك وليس اجمل
من صدى صوتك الا فعل معناك . واني لأقبض على شجاعتي
بيدي لاعترف باني أحب - أستغفر الله واستغفرك يا سيدي! -
آلامك النفسية الشديدة من جراء شقاء الانسانية وضلالها واتمنى
من اعماق قوايدي ان تجد دواماً تلك الآلام منفذاً رجباً الى
قلبك ، وان يبقى ذلك القلب كريماً لناً ينجرح لجرح الغريب ،
ويبكي لبكاء المظلوم ، ويشفق على المتوجع ايّاً كان . بالاختصار
- عفوك ! عفوك ! - اتمنى لك العذاب المعنوي لانه النار
المقدسة . أجل ، هو النار التي تطهر ، النار التي تحيي ، النار التي
تلين ، النار التي ترفع النفس على اجنحة اللهب الى سماء المعاني
السامية والميول الرفيعة والرغبات الكريمة ، والتحمس لاجراء
الاصلاحات اللازمة وتنفيذ المبادئ الطيبة ، والتهوض بالاجتماع
نهضة تهتز لها القلوب حمية وطرباً .

اتمنى لك ذلك ، ولولاه لما وجدنا في كتاباتك تلك الانة^{وا}
العميقة التي تنبه الفكر وتلمس العاطفة في آن واحد .

لا انكر ان انانيتي تنكلم الآن . غير اني قلت ما قلت
مسرعة هامة . فابتسمي له ان شئت ، والا فلا تصفي يا سيدتي
ولا تسمعي بل اسأليني عما أهمس به لاجيب اني احمد الله على
ابلاك واني اسأله ان يديك سالمة . وما أغلى سلامتك لدينا !

* * *

جئت اسرّ اليك أمراً وقفت عليه عندما شهدت صدى مقالتك
لدى جمهور القراء . اسمعي يا سيدتي الباحثة ، وصوني سري !
رأيت جميعهم يتقبل اقوالك بنظرة الفخر وابتسامة الاعجاب ،
والكني رأيت كذلك اسيانا الرجال - ... أقول « اسيانا »
مراعاة... بل تحفظاً من ان ينقل حديثنا اليهم فيظنوا ان النساء
يتأمرن عليهم... فكلمة « اسيانا » نحمد نار غضبهم - قلت اني
رأيتهم يطربون لتصريحنا بانهم ظلمة مستبدون . نعم آنتت ذلك
في ملامح كل من قرأ مقالك امامي من اسيانا الرجال .

فذكرت اذ ذاك الا سرور في العالم يضاھي سرور التفاهم .
فاذا شعر المرء بان هناك من يفهمه كان سعيداً ، سواء لديه ان
تعرف منه صفاته او علاقته لان معرفة العلات تتبعها حتماً معرفة
الصفات ، وان كان الخير اقل انتشاراً من الشر . وما النقائص
الا فضائل مضخمة مكبورة تتسع وتستفيض دون ان تجد لها من
الضمير مهنذباً فتتجاوز الحدود المعنوية التي عينتها اصطلاحات

الاجتماع - اذا كانت اجتماعية - او رسمتها علوم النفس والاخلاق ،
اذا كانت اخلاقية .

فعملاً برغبة التفاهم ، وطبقاً لنظام المباحاة ، وتوصلاً للاستمتاع
بنتيجة هذه المباحاة وذلك التفاهم كان وسيكون السارق دائم
المفارقة بوقوف الناس على براعته في اختصار الطرق الجديدة
واستنباط الحيل الغريبة - وكان وسيكون القاتل مسروراً
باعلان آثامه للورى آملاً ان يجدوا فيها اعمال بطل من نوعه ! .
وكان وسيكون السياسي جاداً في اقناع الآخرين ان دهائه
اقتدار وسوء ظنه وروغانه فطنة وحكمة . كذلك الرجل يسر ،
ويرجو ، ويريد ان تشعر المرأة باستبداده ظناً منه ان الاستبداد
هو السيادة ، وان هذه مقياس ذاتيته التي يريد لها كبيرة .
رضيت المرأة عن تلك السيادة ام تمردت عليها في نظره سيان ،
بل اظنه - ساحني الله ان كنت مخطئة - مؤثراً تمرداها على
اذعانها لانها كلما زاد تمرداها زاد شعوره بالسيطرة . واشد الملوك
فرحاً بهز الصولجان ، وارفعهم للرأس كبيراً وتيهياً تحت ثقل
التيجان هم ذوو العروش المتداعية للهبوط . والرجل ملك متداعٍ
عرشه لان ريح الفوضى تهب عليه من كل جانب وخطوات
الارتقاء النسائي تتوالى متكاثرة متمكنة مع مرور الايام .

* * *

لكنه ملك عزيز

هو الاب والاخ والصديق والخطيب والزوج فاذا سقط
سقطنا معه ، واذا ارتفع كنا بارتفاعه عظيما . لذلك نريد له
خيراً ونجتهد في تأييد دولته بشرط ان ينصب عرشنا بقرب
عرشه وان نقف الى جنبه وقفة المشيل بجوار المشيل ، نريد ان
نكون متساويين في الحقوق الادبية والعمرانية مادامنا متساويين
في الواجبات والمسؤولية . بل ان واجباتنا ومسئوليتنا يفوقان
ما عليه من مسؤولية وواجب !

فيا ترى متى يرضى الرجل بتقرير هذه الحقيقة ؟

ما اطيب قولك ، يا سيدتي الباحثة ، انك تشفقين على من
يستحق الشفقة وعلى من لا يستحقها . الرجل من الذين يستحقون
الشفقة لانه لا يعرف انه يستحقها . انه باستعبادنا لمتنحر . ولو
صرفنا النظر عن مستقبل الذرية وبحشنا في حياته الفردية لوجدنا
ان ما من احد يساعد على التخلص من الشوائب الشائنة ويحثة
على انماء شخصيته الغنية المخصبة الا نحن . كما انه لا يهدينا الى
واجباتنا ويضع في ضعفنا قوة الاله .

الحجاب ؟ وما هو الحجاب ؟

مرحباً به ما دمنا في وسط لا يعرف كيفية معاملة المرأة ولا
يستطيع احترامها . ولكن كيف نلوم الرجل على كلامه ونظراته

ما دام رجل اليوم صنع اموأة الامس ؟ هكذا علمته امه وان لم تعلمه ذلك فانها لم ترشده الى ما يفضله، ولا ذنب لها لان قصورها في جهلها لم يكن الا نتيجة اتفاق ابياها وزوجها على جعلها عبدة.

لا لوم على ابناء تلك الامهات . الا ان مستقبلنا صالح لان حاضرتنا مملوءة بالآمال الطيبات . النشء تتنازعه طبائع الوراثة ومؤثرات العصر وعواصف الفوضى المهاجمة قديم التقاليد من كل ناحية . ولكنه ينشد الصراط السوي ويصغي الى صوت الاصلاح . فارفعي صوتك ، يا سيدتي ، ولا تيأسي ! قولي بصراحتك ، واكتبي بشجاعتك ! جاهري ولا تصمتي !

ان البذرة التي تزرعها اليوم يد الزارع تثبت سنبله في كيانها حياة الغد وما يتبعه من الايام . وعندما تخضر المروج بنضرة الرجاء فتتماوج فوق غلتها نسجات الحياة اذ ذاك سيمسح المستقبل صدىً جميلاً يرد ابيات الامير شوقي :

صدّاح يا ملك الكنا ر ويا امير البلبل
صبراً لما تشقى به او ما بدا لك فافعل
فتجيب الاصداء الجديدة . لقد فعلت ! لقد فعلت !

الى الساعة المفقودة

هذه رسالة وجهتها مي الى ساعتها العزيزة وقد فقدتها
في هنية سوداء :

جعلها ارباب التجارة حلية نسائية ، واتقن الجوهري وضعها
في سوار ذهبي فكانت نصلي في الثرى .

صورة مصغرة للكون ، كذلك كانت ساعتي ، مساحتها رمز
لفضاء ، دورتها مرشح للانهاية ، حدودها حدود الامكان ،
علاماتها مقاطع الوقت الذي رتبه الانسان، ساعاتها مقياس الاعمال،
دقائقها خوف من هجوم الرزايا وترقب لوفود الآمال ، ثوانيتها
دقائق القلب ... من الثواني يتألف الزمان ومن نبضات القلب
تنسج الحياة نسجاً .

فيا لهول ثواني الزمان ، ويا لهول نبضات قلب الانسان !
بين ثانية وثانية يلتقي العدوان في احشاء الثرى : الماء والنار ،
فتميد الارض بمن عليها وتتفطر اساساتها فتقذف البراكين
مقدوفاتها الجهنمية وسوائلها النارية وتزفر الطبيعة زفرتها القتالة
فتلتهم صروح العمران وتفتح صدرها مرحبة ببنيها . تفتح صدرها
مرحبة فيتدحرجون الى الهاوية التي ليس فيها من يعود على وجه

البسيطة مخبراً .

بين ثانية وثانية يتلاقى الجيشان في ساحات الوغى فتدوي
رعود المدافع في الفضاء وتختطف بروق السيوف غالي الارواح .
ولاجل كلمة غالب او مغلوب تندك عروش وتلتصب عروش ،
تدمر ممالك ويعمر سواها ، تحرب مدائن ويشاد غيرها ، تتجندل
افراد وتفتنى مجاميع فترتدي الاقوام سواد الالوان وفي نفوسهم
لوعة الفقدان وسواد الاحزان .

بين ثانية وثانية يموت أمل ويحيا ياس ، تبسم شفة وتدمع
عين ، يخون صديق ويخلص عدو بين الثانية والثانية !

وبين نبضة ونبضة هناك سر الاسرار . دماء داخلة الى القلب
ودماء منبعثة منه ، تنهافت عليه جرائم الموت فتخرج مطهرة
حيوية . بين النبضة والنبضة تأثيرات تهتز لها اعماق العمر وانفعالات
تشخص لمرورها ذرات الكيان . اشتعال الفكر وخمود العاطفة ،
ظفر البلاهة وتقهر النبوغ ، لذعات الغرام والحسرات العظام ،
قنوط ورجاء ، سعادة وشقاء ، هتاف الروح المسلمة ولهات
الروح المودعة !

☆☆☆

يا ابنة ابيك ! يغدرنا الزمان ساعة الرجاء ، ويخوننا يوم
الصفاء ، ويهجرننا حين اللقاء . فانت غادرة خائنة هاجرة كالزمان ،
يا ابنة الزمان !

كم من ساع طبيبات وقعت مرورهن على دوران عقربك
وفكري يناجيك باحاديث هداة وضلاله ! اُبسم لك عند السرور
فالتحملك صامئة تبتسمين واتنهّد حيا لك يوم الاسى فاتوسمك
تنهدين وتحزنين ، وكأن عقربك ذراعان يمتدان نحو العلاء
مستغيثين متوسلين .

لما أفنت قلبي وحدة القلب ضغطت بك على ساعدي قائلة
« انت الصديقة التي لا تخون » . ولما مزقت سمعي اكاذيب
الناس واحاديثهم المؤذية خاطبتك قائلة « انت لا تؤذين لانك
لا تتكلمين » . ولما اذابني الجهل بدعواه والذور بسخافته نظرت
اليك قائلة « انت عالمة لذلك تصمتين »
و كنت تعزيّتي !

و كنت زماني ، يا ابنة الزمان !

وعلى هذا ما كان اطول اعراضك عني واقل اهتمامك بي !
في النهار كنت تطوقين ساعدي فيوجهه اثر سلسلتك وأجيب انا
على هذا العنف بللمسة المداعبة . وفي المساء كنت تستريحين بجوار
وسادتي فأوقع على موسيقاك الساهية الحان احلامي وآمالي وفي
الصباح كنت اول عين اشاهدها واول روح استجوبها .

كل ذلك وانت لا تنتبهين ولا تعلمين .

وها قد هجرتني . فقدتك وفقدتني فسيري بحراسة الله وانسيني !

ولكن انتخبي اليد التي ستطوقينها !

فاذا وقعت في يد شرير وقصد استعمالك ليؤذي اخاً له فانقلبي
افعى لساعة ولا تبوحى مفرغة فيه سمك حتى تصرعه
قتيلاً .

... لكن لا ، لا ! ليس الاشرار الا ضحايا البشر وضحايا
نفوسهم ، لو كنت تعلمين . وهم خليقون بالرحمة اكثر من
الاخير الصالحين . فلا تتحولي حية ولا تؤذي شريراً بل غادري
تلك اليد المسكينة واسقطي في طريق أب فقير لتكوفي من
نصيب فتاة لم تلبس في حياتها حلية . زيني يداً شوهدت خشونة
الخدمة جمالها ونامي على زند الفتاة الغريبة بدلال القبلة والتعجب !
نامي هناك واسعدي ، ولو ساعة ، قلباً بائساً يحسب السعادة
في الغنى !

نامي هناك وانسيني ، ولكن !

ان كان لديك ذاكرة تذكر ، يا ساعتي الصغيرة المحبوبة ،
اذكري لحظة ما شهدته معي من المسرات واللهفات ، اذكرني
واحفظي ما تعرفين !

ولكن... أأنت ابنة الزمان الذي ننسب اليه في ضعفنا
كل شيء وهو في قوته لا يبالي بشيء ؟ ترين بأي حافظة تذكرين ،
وبأي ذهن تتأملين ؟ انما علاماتك مدادٌ قد تجبر ، وعقربك

اصبع يشير الى علامة يجهل منها المعنى ، وانت آلة ليس الا ،
وان كنت آلة الآلات المثلى .
انت ابنة الزمان الناسي ، وانت مثله لا تذكرين ! .

مى

الى لطفى السيد

سنة ٩١٤

(المحروسة)

حضرة الاستاذ الفاضل

في نفسي كلمات جائلات منذ ثلاثة ايام ، اذا حاولت
الافصح عنها باللسان او بالقلم تبعتها حتى علامة الاستفهام .
ارفعها اليك لانك كتاب حي يرجع اليه الباحث في ساعة
الخيرة والتردد . ولقد جرأني على ابداء فكري اني وجدت في
خطبتك الجميلة ذكراً لوالدة فقيده مصر (١) ، وذكرت من اجلها
جميع الامهات القرويات الساذجات اللاتي اعطين لمصر اعظمها .
لم تضرب صفحاً على جهلهم وبساطتهم ومع ذلك فقد اعترفت
بانهم مهذبات فتحي باشا وامثاله . كأنك اردت ان تنبه السامع
والتقارىء الى ان الخواطر العظيمة - كما قال فوفينارج - تأتي
من القلب ، وان على هذا القياس يكون ذكاء القلب اعظم
ذكاء .

اما سؤالي فيها هو : لماذا لم يكن للنساء نصيب في حضور

تكملة

حفلة التأبين ؟

(١) فتحي زغلول باشا وقد كتبت الرسالة بعد حفلة الاربعين التأبينية

حفلة خيلية اقامتها مصر لتأبين فتاها . ومصر ككسائر بلاد
الله — على ما اظن — تتألف من رجال ونساء . لم تكن الحفلة
قاصرة على هيئة الحكومة او على طائفة المحامين والعلماء . بل
كانت عمومية جامعة بين المحمدي والعيسوي والشرقي والاجنبي
على السواء . غير انكم نبذتم منها جنساً واحداً : وهو الجنس الذي
منه رفيقة مهد فتحي باشا ورفيقة نعشه — والدته وزوجه . نبذتم
ذلك الجنس الذي يعيش بعيداً في ظل النصر الشامل يوم يكون
الرجل غالباً قاهراً . حتى اذا نهش نفسه اليأس وادماها الالم ،
وخالطتها وحشة الموت عاد الى جنب الجنس الذي لم يخلق الا
ليكون شقيقاً — الجنس النسائي .

قالوا ان مثلاً حياً واحداً هو انفع من الف درس نظري
قلبه كتب المتقدمين والمتأخرين ، ويلقيه ابلغ الفصحاء من
المستكلمين . فاذا شكوا الرجال بحق او بغير حق اثره النساء
وخفة نفوسهن وميلهن الى الزخرف والزركشة و « الدنتلا »
واعتبروهن غير حريات بان يشاركنهم في الحياة القومية ، فما
بالهم لا يسعون بالتقريب بين الافهام وحذف ما بين مدارك
الجنسين من مسافة يزعمونها شاسعة !

غريب ان تبخلوا على المرأة بحضور اجتماع يرفع نفسها الى
سمى درجات التاثر المفيد ، ويلقت عقلها الى هيبة العلم وعظمة

الفضل ، ويعلمها اجمال الوطن ورجال الوطن . مع انكم
تسمحون لها بالذهاب الى هذه الاوبرا نفسها لحضور الروايات
التمثيلية . روايات قد يكون لبعضها اثر طيب في الذهن ولكنه
بعيد عليه ان يلمس من نفسها الموضع الذي كان ذلك الاجتماع
قد يلمسه .

قد تقولون ان المرأة لا تفهم معاني التأبين كما يفهمها الرجل ،
فاجيب اننا اهتمنا بالخطب والقصائد اهتماماً عظيماً واستعملنا
عند قراءتها ملكتي النقد والاستحسان . وهذا ينم عن استعداد
فينا غير قليل تتجاهلونه عمداً او تجهلونه سهواً واهمالاً .

واذا قلتم ان فتحي باشا كان عالماً مفكراً وان العلم والتفكير
من خصائص الرجال . اجبت ان العالم الحقيقي والمفكر المخلص
هو ذاك الذي يكتب للرجال والنساء بلا تفریق ، ويود ان
تكون كتاباته هدى ووحياً لجميع افراد الامة . بل يود ان
تكون ذلك لشعوب العالم اجمعين . ولا شك ان فتحي باشا
ذلك الرجل . اذ لا رأيت انا ولا رأى احد على غلاف كتبه
كلمة كهذه « محظور على النساء » او « حقوق المطالعة محفوظة
للرجال » .

لما قرأت الخطب والقصائد حملني الخيال الى ذلك الاجتماع ،
ورأيت الجمع ينصت كأن صوت الخطيب والشاعر يجاهر بما يجول

في نفس الجمهور . رأيت الجمع منحني الرؤوس كأنه عالم بوجود
قوة خالدة في فضاء المكان يتهيب النظر ان يرتفع الى هيولائها ،
ويخاف الفكر البحث في ماهيتها ، بينا القلوب تتردد همساً : هي
الروح المودعة توفرف على جباه ذاكرها .

موقف جليل فيه الذكرى افصح خطيب ، والصمت العميق
احد تصفيق ، وآهات الحياة حكم باهرات ، والدموع ، دموع
سعد باشا ! ...

انها دموع عظيمة آتية من بعيد ، من اعماق المحبة المقدسة .
انها سيال حب تدفعه ابدية القلب الراحل في لوعة القلب الباقي .
انها دموع بسيطة طاهرة ، بليغة ، ابكت من شهدها وما برحت
تستفز دموع من سمع بها . دموع رجل نسي كل شيء في لحظة
واحدة ، غير ذاكر الا انه كان له اخ خطير غاب غياباً ابدياً
لا لقاء بعده في هذه الدار . اراد اسداء الشكر الى الاحياء ،
فما عثر الا على كلمات الوداع للراحل فلم يجد قلبه ولسانه وعينه
الا بتلك الكلمات . وهي العبرات .

هذه آية البيان .

لو حضر النساء هذا الاجتماع لآخذن عنه امثلة طيبة وحفظن
منه في نفوسهن اثراً جليلاً .

هذا سؤال يا سيدي الاستاذ ، الحقته بالخواشي الطويلات .

لعلك لا تجده بعد مطالعته سؤالاً بل تقريراً . وقد تحكم ان ما
حسبته انا اشارة استفهام ليس الا علامة اسف .
لك ان تحكم بما تشاء ، و كالمتي هذه هي ما تريد ان تكون .

می

الى يعقوب صروف

في كانون الثاني سنة ٩١٩

كان الدكتور صروف قد اهدى اليها في سنة ٩١٩ مجموعة المقتطف،
فبعثت اليه بهذا الكتاب:

AUB

كن

استاذي العزيز

بالامس غمست قلمي الصغير في اشعة قوس السحاب ، لأخط
به تحية للدكتور هوردبلس .. من هو الدكتور هوردبلس ،
وماذا يعني ؟. انه هذا الرجل الاميركي .. وانا الفتاة اللبنانية ..
هناك على شط الازرق البعيد كلية تلثم الامواج قدمها ليل
نهار .. اني اعبد البحر لاني ارى فيه اتم صورة للابدية على
الارض ، واعبد الكليات لانها ...

ما اكثر الناس ولوعاً بالاسماء الضخمة ، ولكن فلنحل
قشرة الظواهر قليلاً ، يصبح امتحان الجواهر ميسوراً . ما
الكليات الا كتابات تعلم المبادئ والمبدئيات . والمرة بادية
ابداً مهما كبر علمه ، واتسعت معارفه .

اذا كانت المدارس الابتدائية تعلمنا القراءة ، فان الكليات

والجامعات لا تعلمنا الا ذلك .. تلك تعلمنا كيفية جعل الحروف
كلمات وعبارات . وهذه تعودنا تحويل الكلمات والجمل معاني
وافكاراً .. تلك تلقننا ابجدية اللغة ، وهذه تدفع الينا ابجدية
العلم ، اي ابجدية الحياة والنور .

ولئن كثرت الجالسون على مقاعد الجامعات ، وكثرت العيون
المحدقة بحروف الضياء الخفي ، فما اندر العقول المنتبهة لهمس
الوحي ، واقل الايدي التي ما تسرب النور الى ثنايا فكرها
يوماً الا رفعت مصباح العرفان تهزه في جو الحياة .

هذا ما اردت ان احيي به الدكتور هورد بلس ، واحي في
شخصه الكلية التي انجبت لنا من انجبت .. الكلية التي تعلمت
انت فيها ابجدية النور .

والآن التفت الى الزاوية اليمنى ، فارى الاثر النفيس الذي
وضعه يدك الكريمة في تاريخ نهضتنا اولاً ، ثم في مكتبي هذا
الصغير . فحق لي القول بان مقتطفنا صار مقتطفي انا .

فتحت اليوم احد الاجزاء ، فرأت عيني صورة رجل ترصع
الاورسمة صدره ، فقلت في نفسي ان اوسمتك انت فوق جميع
الاورسمة جمالاً . كل سنة من سني المقتطف وسام خالد على صدرك
لا ينال الصدا من تبره ، ولا تعرف الغش درره ؛ بل ان ما
فيه من السناء ابدى التائق على كر الدهور .

كلما عكفت على مطالعته رأيتني طفلة صغيرة ، وخلتكَ نبياً
يقودني بيدي في حديقة فكرية ، اشجارها من غرس نشاطك ،
وائثارها حركات قلمك ، والاطيار المغردة على افنانها خيالات
افكارك . فما ابصر شجرة او ثمرة او زهرة ، الا سألتك أهى
من صنعك ؟ .. فتضحك انت من سذاجتي وتسير بي الى ناحية
جديدة من الحديقة الفيحاء ، حيث اجد جمالاً جديداً ، وتنسيقاً
بديعاً . واعجابي وسروري يتجددان مع كل خطوة من خطواتي
.. اشكركَ شكراً يعادل اغتباطي وفخري بهذه الهدية الثمينة .

مى

الى يعقوب صروف

في شباط سنة ١٩١٩

طالعت مي مجلدات المقتطف فوقفت عند مقالات ديجها عن بحيرة
قارون بعنوان « فتاة الغيوم » فذكرتها له في اول الرسالة
ثم قالت :

وقد ادى بي ذلك الى مطالعة كثير مما كتبه عن المصريين
القدماء وآثارهم وفنونهم . وكل فصل اجمل من ماضيه .

لا شك عندي في ان كل كاتب يتمنى ان يكون له من
يذكره على هذه الصورة بعد موته ، واتمنى ان ينالني ما نال باحة
البادية (١) من حسن الحظ لان التخلصين قليلون حتى بعد موت
الكاتب . والعداء له والغيرة منه ، وتعهد تصغير شخصيته والنيل
من مقامه يبرز الى الوجود بعد سكونه في قلب الثرى . وعندنا
على ذلك براهين شتى . وكفى ان نذكر اذجار النبو المسكين .

نعم اتنى ان يأتي بعد موتي من ينصفي ، ويستخرج من
كتاباتي الصغيرة المتواضعة ما فيها من روح الاخلاص ، والصدق

(١) ملك حفي ناصف المجاهدة المعروفة .

والحمية والتحمس لكل شيء حسن وصالح وجميل لانه ، كذلك ،
لا عن رغبة في الانتفاع به .

وقد قال قوم ان هذه صفة حسنة . واذا كانت لي صفة
فهي تنحصر في هذه .. وانا سعيدة بها لانها كل شخصيتي .. بل
اتمنى ان اموت في حياتك انت لتقوم لي بذلك العمل المبارك ،
فاكون خالدة بخلود قلمك الذهبي لا باستحقاقي !

مى

الى يعقوب صروف

في آخر حزيران سنة ٩١٩

...واظن الافضل ان اؤجل نشر ما بقي عن الباحثة (١)
الى ما بعد عودتي من سوريا اذ اكون نلت من الراحة
اللازمة فينجلي مني الحاطر.. ولما اراني تعب افكر فيك واقدر كم
انت تعب كذلك ، وكم يجب ان تسافر لتبديل الهواء ومشاهدة
مناظر جديدة ووجوه جديدة . ان لهذا الانتقال تأثيراً كبيراً
في اي احد من الناس ولكنه للكاتب - خصوصاً اذا كان
مفكراً مجداً من طبقتك - اكثر ضرورة منه لاي رجل غيره..
يسرني جداً استحضانك كلامي عن فيكتور هوجو . ولكن
ما هو ذلك الكلام اذا قابلنا بينه وبين ما تبديه انت في
الموضوعات العلمية والاجتماعية والفلسفية والنقدية حتى في ايسر
احاديثك بحيث اني لو حملت قلماً ودونت كلامك لجاء منه
خطاب او محاضرة عالية الديباجة ، مترابطة الاجزاء على اتم نهج
عربي .. هذا حديثك وانت تعرفه . وقد لا تعرفه ، ولكنه
كذلك على كل حال . وما اناقة رسائلك الا من اناقته ، وما

(١) باحثة البادية .

جمال هذا وتلك الا من جمال الفكر الموحى .. انما المرء مفصح
ابداً عما يساوره من الخواطر ويخالطه من الافكار .

قرأت في المجلد العاشر مقاليك البديعين عن ملتون والمعري ،
ثم عن ابن خلدون وسبنسر ، والمقابلة بين كل اثنين منهما ...
ما املح المقابلة واتمها ، وما ابلغ تلك الجمل القصيرة الموزونة
ذات الالفاظ السهلة الفخمة ، والطف من كل ذلك انك نظمت
شوارد ملتون الشعرية ابياتاً عربية عصماء ، ولا اعرف شيئاً
اكثر صعوبة من ترجمة الشعر شعراً .

واني لا عجب كيف توصلت دفعة واحدة الى اتقان الانشاء
في عصر لم يكن فيه الانشاء الا حواشي والفاظاً وزوائد لا تعني
الا قلة المعنى .. كيف توصلت الى الاسلوب الكتابي الذي جمع
بين اناقة اللغة ولباقة التعبير وعظمة الفكر وسعة المعرفة والاطلاع؟

سى

الى يعقوب صروف

سنة ٩٢٠

اتهما مرة الدكتور يعقوب صروف ، في رسالة بعث بها اليها ، بانها
تفكر بانغة اوروية قبلما تعبر عن رأيها بالعربية . فاجابته بالرسالة
التالية :

« استاذي العزيز

« لما جاءني رسالتك يوم الاثنين الماضي كنت غارقة في
مطالعة مراسلة شائقة بين فيلسوفين عظيمين : فولتير ودالمبير ،
مراسلة دائرة حول اعظم اثر أدبي رآته القرون الحديثة : دائرة
المعارف الفرنسية .

« يومئذ كان صاحبنا فولتير منفياً في سويسرا وكان دالمبير
في باريس يتعاون وديدرو والانسيكلوبيديين الآخرين في
اصدار دائرة المعارف جزءاً بعد جزء في ظل سليمان الشمال - كما
كان فولتير يسمي فريدريك الكبير في ظله المعنوي فقط -
وهو الذي كان ينقد بعض فلاسفة فرنسا وعلمائها رواتب شهرية
تكفل لهم الغذاء ، والكساء ، والسكن ، في حين ان الملكية
الفرنسية التي كانت يومذاك في اعلى اعلى مجدها لم تكن تفكر

فيهم الا لتطاردهم وتنفيهم وتحرق مؤلفاتهم !! وبعد ان وعدتهم
هذه بالمساعدة الادبية قامت مدفوعة من الاكليروس تصادرهم
وتكثر العقبات في سبيلهم . فرضت عليهم الرقابة ، فقبلوها
مرغمين ، وعينت من الرقباء اجهلهم ، فصار هؤلاء يخذفون كل
ما لا يفهمون ، ولم يكونوا يفهمون شيئاً !

« في هذه الحالة المدهمة اخذ الرجلان الكبيران يتراسلان ،
وكان فولتير يساعد دالمبير عن بعد في تأليف الانسكلوبيديا .
وكلاهما يشبه رفيقه بما لديه من عظمة فكرية ورغبة في خدمة
المصلحة العامة وكره للجهل والدعوى والاستبداد. كذلك تشابهت
منهما الرسائل في التظلم وبث الشكوى ، وفي معرفة الطبيعة
البشرية والتساهل لعباوة الاغبياء . وما أقل كلمات المرارة
الخارجة من قلوبهما المصدوعين . وما اعذب كلمات المؤاساة من
قلميهما القادرين الملجمين . وما أبعد نقطة يدرکها فكراهما في
مدى المستقبل المنبسط امامهما !

دائرة المعارف موضوعهما الاولی يحومان حوله باهتمام كما يتم
الشريكان في عمل يخدمهما امام وجهه الاجيال ، الا انهما لا
يقتصران عليه ، بل تفرغ حول هذه النقطة الجوهرية اسراب
المواضيع الاجتماعية والفلسفية والعلمية والدينية والسيكولوجية ،
حتى اذا عثرا على معنى ظريف او نكتة او ملحمة ، وقفوا عندها

يضحكان كأنهما طفلان لم تصادروهما حكومة ، ولم يهددا بعقوبات
ان لم تكن عقوبات محكمة التفتيش بالاسم ، فهي هي بالذات ،
ولا تقل عنها قسوة وهولا .

« كنت أقرأ معجبة ضاحكة مكتئبة متعزية معهما ، ومسبحة
الله كما يفعل المؤمن ازاء مشهد طبيعي رائع . أسبجه لانه أبدع
هذه العقول الكبيرة والنفوس السامية والاذهان المتوقدة ،
واغبط كلا منهما على صديقه العبقري مقابلة بين هذه العقول ،
وبين عقل احدى جاراتنا الاسرائيليات التي كانت في ذلك الصباح
قد اقامت القيامة بين برابرة الدار وطهاتها وخدمها اجمعين لتصل
الى حل هذه المسألة الرياضية الهائلة » ربيع الخمسين كام ؟ »

« في تلك الدقيقة جاء كتابك ترافقه المقدمة الهامونية ،
فأنعمضت عيني قائلة :

(مالي وللفيلسوفين اغبط الواحد منهما على الآخر ؛ وانا قد
اسعدتني الحياة بصديق مثلها احسنه واراسله ، واتلقى تأثيره
الفكري العالي !) .

« ثم فضضت الرسالة التي استأذنتك بتسميتها روسية (ثورية)
مرتين : روسية من حيث انها كالسلطة الروسية مخلوطة تواريخ
وخطوطاً وألوان حبر - وروسية من حيث ان نار الثورة
الحمراء تشتعل فيها اشتعلاً من اول كلمة الى آخر سطر .

« تجاهر بانك ناغم ساخط راغب في معاقبتى وتعنيفي . وما هي ذنوبي ؟ . . ليس من الضروري ان يكون لي ذنوب في عالم الوجود . ما دمت راغباً في ايقافي موقف المتهم ، فانك تخلقها من العدم . حتى المقدمة العظيمة لا تخلو من وخزة هنا ، ونغزة هناك ، ولطمة هنالك .

« لقد قلت مثلاً اني افكر بلغة اوروبية ، قبلما اعبر عن رأي بالعربية - قلت ذلك ، ولم تسمح لي بالاحتجاج . وهل دفاعي يجدي نفعاً اذا استشهدت الاخلاص اني ساعة اكتب العربية افكر بها ، ولا افكر بلغة اجنبية الا عرضاً كما يفعل جميع الناس الذين اذا ما استحضروا شخصاً او شيئاً استحضروا معه اللغة التي كانت مستعملة ساعة رأوه او سمعوه لأول مرة .

« اعترف بأن معرفتي اللغات الاخرى قبل العربية جعلتني اشبه جماعتنا بتلك المرأة التي لم تخرج في حياتها من قرية لا تريد منازلها على السبعة عدداً . وكانت تقول فيها انها اجمل مدينة في العالم ، وانها ام الدنيا . وتلك المعرفة جعلتني اسأل نفسي كلما قرأت مقالاً لبعض من يدعون اعظم الكتاب وفطاحل الشعراء قائلة : « وماذا وضع هؤلاء الاقطاب من ذاتيتهم فيما كتبوا ، بل اين تلك الذاتية التي لا اجد لها اثرأ ؟ »

« ثم مالي انا اشرح ميولي وابور سروري اللغوي اذا كان

هناك من يستحق الملام ، فانت هو . انت الذي تبصلت من
الاسجاع والحواشي والزوائد يوم كانت هذه روح العصر .. لو
اردت ان اقد احدآ لقلدتك ، لكنني اكره التقليد الذي يشوه
المقلد ويمسخ المقلد وانا احب ان اكون أنا أنا في كتابتي .. -
يا لطيف ما هذه الكبرياء والدعوى ! هكذا ستقول انت .. -
يا لطيف ما هذا الظلم والاستبداد ! . وهكذا اجيبك انا ..

« وهاك تهمة اخرى . تقول في رسالتك اني انتظر اول
اشارة لاعفيك من المقدمة ، كم انت شرير ساعة تقول ما
لا تعتقد . ولكنني لا اريد ان اخاصمك ، واغفر لك كل ما جاء
في الرسالة اكراماً للمقدمة .

« اكتب اليك والشمس تنزل درجات الافق ، وقد سبحت
غيوم المساء كما في بحيرات من العسجد والعنبر والزبرجد والياقوت .
في جميع اطراف الافق تتوهج حرارة الربيع وتبدو يقظة
الطبيعة . وعلى البسيطة مثل هذه البقطة وتلك الحرارة . ما اجمل
الشجيرات التي انبتتها لنا كرمأ مصلحة التنظيم ، تبسم بأزهارها
الكليلة على جانبي شارعنا .. هل ذهبت اليوم لشم النسيم ، ام
اكتفيت بالسير في شارع عماد الدين ؟ . ربما كنت الآن سائراً
في الخلاء تنظر الى هذا الغروب الساحر وتفكر بي .. اما انا فلم
أخرج من البيت في هذه الايام التي كثرت فيها علي المعاكسات .

« فامي تشكو ذراعها ، وأني يشكو المأ في ضرسه ،
والتليفون ملخبط زي عقل العفريت كما يقول البربري . وهذه
من الدواهي الصماء حقيقة .. وانا شكتني ابرة غليظة تحت ظفر
ابهامي . ثم رأيت حضرة مدموازيل توتو ان تتحفني بصداقتها ،
وتعالجني بطبها الخاص ، فعضت على الاصبع المريضة ومزقتها
بمخالبها ، فقلت ضاحكة : « ما اشبه القطط بالفلاسفة احياناً !.. »

مى

الى الدكتور صروف

سنة ٩٢٠

يا ذا التاج والصولجان

نهضت الساعة . وبني فكرة واحدة وهي رسم مجموعة عواظفي
طاقة تهنئة وتكريم لمناسبة يوم ميلادك الجميل . او ان ارسم تلك
الطاقة غضة نضرة زاهية جزلة ، كما هي في الاصل الخفي . واود
ان أنث في القلم قدرة سريعة خلاصة لاقول ولو في سطر واحد
ما اشعر به ، وما اريد ان اعبر عنه . ولكن كيف افعل
وادوات الرسم مبعثرة في هذا البيت الذي حق عليه اسم « بيت
الراحلين » . اننا عائشون منذ امس الاول في عجاجة غبار
وتشويش تكتنفنا رعايتها وتشملنا غايتها من كل صوب وحذب .

وضياع ادوات الرسم وتششت آلات الكتابة خير ، لانك
سترسل الى نفسي نظرتك التي لها من الرياضي الهدوء والتحليل ،
ومن المفكر الادراك والنفوذ ، ومن الشاعر العطف والرواء ،
فترى تلك الطاقة في تربتها النفسية ازهاراً تهطل على اغصان مهما
عصفت فيها المعاكسات ، وكافحتها انواء الحياة ، فانها لا تريد الا

متانة ونضارة . ونظرك فيما وراء المنظور اصدق وابلع من
تعبيري المنضد في عالم المحسوس .

لو كنت اليوم في لبنان لقضيت فريضة الحج الى حيث
مشرق الشمس الفكرية منك وسيكون من مسراتي الكبرى في
هذا الصيف ان أزور البقعة الصغيرة الكبيرة ، التي بلا ريب
سيقيمون لك فيها تمثالا يوم يجتاز الشرق حد التحمس الوقي الى
تأدية الواجب نحو كبار رجاله ، الذين هم الكبار حقيقة ، وليس
اولئك الذين زعمهم في بلاهة كباراً

كذلك اليوم يزيد وضوح فكرة عندي انشئها ، وهي ان
اقم انا لك تمثالا من نوعه ومن صني الحاص . وذلك بقلات
متابعة في المقطف احلل فيها شخصيتك واستخرج عناصرها
المختلفة ، فترغم على نشرها عملاً بحرية النشر ، واكيدك ، وابهج
نفسي ولا سيما اني اؤدي نحوك واجباً كم اهملناه لاننا جهلناك .
عسى توفقني الحياة الى نحت ذلك التمثال فأقول في كتاب جامع
ما احصه الآن بقول القديس فرنسيس : « ليس انبل في الحياة
من العمل النبيل » . فكيف اذا كانت الحياة كلها سلسلة اعمال
نبل وكرامة . كيف بها اذا كانت كلها اشارة متمرن في رفع
قبس النور والعرفان وسط دياجير الجهل والخلول !

تلك كانت حياتك ، وانها لتجمع في هذا الصباح امام عيني

كشيء لامع جميل ، بل كهذا الفجر الذهبي الذي يملأ الجو
بتهاويل الصباح الاغر ، فعش طويلاً طويلاً لتظل متابعاً ذلك
العمل النبيل الذي ليس في الحياة انبل منه ، لتظل مستمراً على
اعلاء يدك بتلك الاشارة المعنوية اشارة رفع قبس النور والعرفان .

عش دواماً وقرينتك الجليلة والذي تحبان في شباب القلب
والفكر والجسم والامل . واقبل مني ما تشاء من عواطف المحبة
والاعجاب والتهنئة والتمني الصادق الحاد .

سى

الى جبراه

في ٦ كانون الاول سنة ٩٢٠

... لما كنت اجلس للكتابة كنت انسى من واين انت ،
وكثيراً ما انسى ان هناك شخصاً ، ان هناك رجلاً اخاطبه
فاكلمك كما اكلم نفسي واحياناً كانك رفيقة لي في المدرسة .
انما كانت تطغو على تلك الحالة المعنوية عاطفة احترام خاص لا
توجد عادة بين رجل وفتاة . اتكون المسافة وعدم التعاون
الشخصي والبحار المنبسطة بيننا هي التي كانت تلبس حقيقة ذلك
التواصل ثوب الخيال ؟ قد يكون . غير ان مكانتك في اعتباري
وتقديري كانت مصدر هذه الثقة التي ظهرت منذ نشأتها كأنها
فطرية بديية لم تنتظر الوقت لتقوى ولا التجربة لتثبت ؟
فوصات الرسالة السّتي سبقت « النشيد » فاحجمت ازاء بعض
الكلمات خوفاً مما قد تجر اليه . ومرت اسابيع ستة او سبعة
دون ان اكتب لاني كنت اقول لنفسي : « يجب ان نقف هنا » .
ولكننا لم نقف بل خطونا خطوة ، بل قمزنا قهزة تذكر في
« النشيد الغنائي » . وكنت في الاسكندرية ازاء البحر الذي
يجلب التأمل وينمي حب الاختلاء . ولم اشأ ان اجعل لمعنى

النشيد اهمية خطيرة فكتبت اقول : انا اردت ان تحصر مراسلاتنا في مواضيع فكرية . فقلت لك صريحاً انني التمس في رسائلك الفائدة التي اطلبها في كل مكان .

... انت قيدتني (مذنبه) في دفترك ، وقمت تشكو لاني كلما « حدقت في شيء اخفيه وراء القناع ، وكلما مدت يداً اثقبها بمسار . نعم فعلت ذلك متعمدة » . تعمدت « قطع تلك الاسلاك الخفية التي تغزها يد الغيب وتمدها بين فكرة وفكرة وروح وروح . وصرت اصرف المعاني وامسح الاسئلة واضحك عند الكلمات التي تملأ العينين دموعاً . وهل كان لدي وسيلة اخرى لاحولك عن هذا الموضوع واذكر اني وحيدة ابوي ؟ قد لا يكون في العائلة الغربية الا ولد واحد فيقذفون به من انكلترة الى الهند ، او فتاة واحدة فترحل من فرنسا الى الصين بلا جلبه ولا ضواء . ولكن اين نحن من هؤلاء ، ونحن شرقيون . تعمدت ذلك خصوصاً لاوفر على نفسي عذاباً هي في غنى عنه ولأتحايد كل كلمة تقربني من ذلك الموضوع الذي ملأ روحي شوكاً وعلقماً في هذه السنوات الماضية . ففهمت ما اريد وانما في غير معناه الحقيقي ، وفهمته على وجه لم اقصده . ثم سطت عليك الكبرياء ، كبرياء الرجل ، فنسيت ان السكوت لا يحسن بيننا على هذه الصورة نحن الذين تكاتبنا ابدآ كصديقين مفكرين

نسيت ان الموضوع الآخر جاء عرضاً . وما دام انه لم يكن
الاصل فقد كان له ان يتلاشى دون ان يؤثر في علاقتنا الادبية
الفكرية . اما صدق القائلون ان صداقة الرجل والمرأة رابع
المستحيلات . آلمني سكوتك من هذا القبيل ، وارهف انتباهي ،
فاعلمني انك لم تشاركني ارتياحي الى تلك الصداقة الفكرية لانك
لو كنت سعيداً بها مثلي ، لما كنت رميت الى ابعاد منها .
علمت انني كنت وحدي حيث كنت اظننا اثنين . وقدرتك
انك لم تحسب تلك سوى مقدمة وانا كنت اقدرها لذاتها . وصار
معنى سكوتك عندي « اما ذاك واما لا شيء .. وانت ادري باثر
هذا في نفسي » .

م

الى هوبيا طعمه دمسقية

كتبت اليها رسالتها الاولى تعرفها فيها
بنفسها بقال طريف :

عزيزتي

... اصحيح انك لم تهتدي بعد الى صورتي فيها كما : استحضري
فتاة سمراء كالبن او كالتمر الهندي كما يقول الشعراء او كالمسك
كما يقول مقيم العامرية وضعي عليها طابعاً سديماً - فليسمح لي
البلاغيون بهذا التعبير المتناقض - من وجد وشوق وذهول
وجوع فكري لا يكتفي وعطش روحي لا يرتوي ، يرافق
اولئك جميعاً ، استعداد كبير للطرب والسرور واستعداد اكبر
للشجن والالم - وهذا هو الغالب دوماً - واطلقتي على هذا
المجموع اسم « مي » تري من يساجلك الساعة قامها .

مي

الى الدكتور صروف

سنة ١٩٢١

بعثت اليه برسالة مع احدى محاضراتها التي
اعتادت ان تنشرها في المقتطف
فقلت في تواضع كبير :

يا ذا الصولجان

لدي كلام كثير منه كلام اعجاب بالمقتطف عموماً ، وباب
المسائل خصوصاً ، ومنه كلام عتاب وتعنيف . نعم يا ذا الصولجان ،
أقول تعنيف وأعنيه بلا مداورة ، وهو تعنيف لاذع ، ولكن
ضيق الوقت يجعلني اقصر الكلام على ما يتعلق بالمحاضرة الواصلة
اليك .

فاذا رأت الذات الهمايونية ان تنشرها كلها دفعة واحدة
كان ذلك . واذا رأت ان تشطرها كفؤاد نعوم بك شقير القائل
في كتاب « طور سيناء » :

شطرت فؤادي من وسطه فشطرت لذاك وشطرت لذا
يعني شطر للقطر السوري وشطر للقطر المصري — قلت

اذا رأت الذات الهمايونية ان تعامل المحاضرة كما عامل نعوم بك
فؤاده ، فان اشارتها حكم واطاعتها غنم ، واذا رأت الا تنشر
ولا تشطر ، فارجو ان تعاد في القريب العاجل او ان اخبر عما
قدر لها لا كون على بصيرة .

صبحاح سعيد واسبوع سعيد يا استاذي . ما أحلى ان
اذكرك في هذه الساعة العذبة على توقيع شدو الاطيار ونفحات
النسيم . اني اذكرك وادنو بالخيال من الصولجان المحبوب مداعبة
ومتباركة معاً .

مى

الى الغريب ؟

في سنة ٩٢٢

انا وانت سجينان من مساجين الحياة .
وكما يعرف المساجين بارقامهم يعرف كل حي باسمه .
وقد التقينا وسط جماعات المثقفين فيما بينهم للضحك من سواهم
حيناً ، والضحك بعضهم من بعض احياناً .
انا منهم واياك غير ان شبك بهم يسيثني ، لاني انما اقلدهم
لاريك وجهاً مني جديداً . وانت ، أتجارهم بمثل قصدي ام
الجزوء والاستخفاف فيك طوية وسجية ؟
ولكن رغم انقباضي للنحكة منك والظرف ، ورغم امتعاضي
للتغافل منك والجبور ، أراني واياك على تفاهم صامت سديم يتخلله
تفاهم آخر يظهر في لحظات الكتمان والعبوس والتأثر .
بنظرك النافذ الهادئ تذوقت غبطة من له عين ترقبه وتهتم
به . فصرت ما ذكرتك الا ارتدت نفسي بثوب فضفاض من
الصلاح والنبل والكرم ، متمنية أن انثر الخير والسعادة على
جميع الخلائق .

مى

الى الفتاة المصرية

سنة ١٩٢٣

الحياة امامك ، ايتها المصرية الصغيرة ، ولك ان تكوني فيها
ملكة او عبدة :

عبدة بالكسل ، والتواكل ، والغضب ، والثروة ، والاعتياب
والتطفل والتبذل . وملكة بالاجتهاد ، والترتيب ، وحفظ اللسان ،
والصدق ، وطهارة القلب والفكر ، والعفاف ، والعمل المتواصل .

فان عشت عبدة باخلاقك كنت حملاً ثقيلاً على ذويك
فكرهوك ونبدوك ، واذا عشت ملكة افدت اهلك ووطنك
وكننت محبوبة مباركة .

فأيها تختارين ؟

اذا اخترت الملك فروضي نفسك على المكارم منذ الساعة ،
لان الملوك يسلكون طريق العز منذ الصغر .

مى

الى الدكتور صروف

اذار سنة ٩٢٣

استاذي الدكتور العلامة

اشكر لك المقال الممتع الذي كتبته عن نقد الكتب في عدد فبراير وكان عليّ ان احمت تهيباً عند لهجته الصادقة على ان لدي شيئاً اضيفه .

لم اعن « مجلتكم » في كلامي عن قصور الصحف، ولا عنيت سواها من المجلات المنتبهة لما فرض عليها ، فتحدثنا كل شهر عن كتب ونشرات ومجلات واعداد ممتازة من الصحف بكلام كله افادة . فهي من هذه الوجهة ترضي الواجب العلمي الذي تعمل للقيام به بكرامة واستاذية .

اما ما ذكرته عن الصحف الاجنبية فأستأذنك بالا نتباحث فيه . لتلك الصحف شأنها في التفاهم مع جمهورها وارضاء بيئتها . اننا بعيدون عنها . ولاغراضها ودخائلها جاهلون . انت تعرف منها بالاختبار بعض اساليبها ، اما انا فاجهلها تماماً . فاذا حدثت عنها كنت دعية متطفلة . وعلى كل ، فليس كل سار في الغرب جديراً بالاقتباس في الشرق دون مراعاة الحاجة المباشرة .

وانا اسألك : كيف يمكنني ، انا الجمهور ان اطلع على حركة التأليف والترجمة في البلاد ، في مختلف الموضوعات الفلسفية والعلمية والاجتماعية والتمثيلية والادبية الخ ؟ كيف يمكنني ان اعلم بصدور ما يهمني من الكتب ، سواء كان اهتمامي بها اضطراراً للعمل وكسب الرزق ، ام للفائدة الفكرية ، ام للتفكه وارضاء للرغبة ؟ ان رسائل الاخبار الكبرى هي الصحف السيارة ، وكل الغاية منها ايصال الاخبار الى الجمهور واطلاعه على ما يجري في بيئته وفي العالم من الشؤون والحوادث . فان لم تنقل لي تلك الصحف ما وجدت لقله ونقل نظائره ، فمن ذا يكون الرسول بين المؤلف الذي كتب للجمهور ، وبين انا الجمهور الذي اتطلع الى ما ينشر لي مؤلفي ؟

تعلم الصحف الغاية من وجودها والسر من نشرها ، فتراها تديع امثال الاخبار التالية :

« تشاجرت زينب بنت علي في الحرنفش مع جارتها المدعوة حنيفة بنت احمد السقا فتضاربتا وجرحتا احدهما الاخرى جرحاً طفيفاً في يدها تقتضي معالجته يومين كاملين . .

او

« سطا اللصوص ليلاً على عزة « ما ادري » فاستيقظ الاهالي ففر اللصوص ولم يوقف لهم على اثر » الخ .

فاكرم علينا يا افندم ، دام فضلك ، برأيك في نشر امثال
هذه الغرر ! .

قد يكون من واجب الصحافي ان يفسح صحيفته لما هو اتفه
من هذا ، فكيف بالوقائع الفكرية والادبية التي هي من اصدق
مقاييس تطور الامة ؟

اقول اذاً ان الصحافي يتحتم عليه - وليس له في ذلك الخيار -
يتحتم عليه ان يذكر في صحيفته كل كتاب يرسل اليه . اما
الركون الى الاغضاء فاجحاف في حقوق المؤلف ، اجحاف في
حقوق القارئ ، اجحاف في حقوق الجمهور الذي له ان يطلع على
قوائم ما تنتجه افراذه ، واجحاف في حقوق الصحافة ذاتها التي
هي بذلك السكوت تسجل على نفسها القصور وعدم المبالاة بما
لا يجوز اغفاله .

افهم ، واعلم بالاختبار ، ان النقد عمل شاق دقيق يستغرق
وقتاً طويلاً ويتطلب معرفة واسعة ، وذوقاً مهذباً ، وبصيرة
شفافة ، واحساساً حياً يفهم العدل كما يفهم الجمال وكما يفهم انظمة
الحياة ، فهو لذلك غير ميسور لكل من ادعى حمل لوائه .
والصحف في شغل لانها كما بالمشاكل السياسية والقومية . فلا
اقل من ان يؤدوا هذا الواجب وبان يذكروا باختصار اسم كل
كتاب يهدى اليهم بلا تحيز ولا استثناء، مع اسم مؤلفه وموضوعه

وثمنه والمكتبة التي يباع فيها ، حتى اذا شعر كاتب او قارئ ،
باندفاع خاص في سبيل الكتاب كتب ما شاء في نقده او تحييه
او معارضته او تحييده .

الصحافة سجل الوقائع اليومية والمرآة التي ينعكس
عليها من نفسية البيئة الصور المتتابعة التولد - فاي الوقائع واي
الصور تفضل ثمرات المطابع وتنتج الازهان والقلوب ؟ بل يوم
تقومون ، ايها المفكرون ، تزنون كفاءة الامة وتحصون خطاها في
سيرها الى الامام ، فهل لكم من وثيقة اصدق من الكتاب والفن
والمتحف ؟ كلا ! وذاك ما تهملون !

والآن وقد فرغت من الحصومة التي يحسبها سادتنا الرجال
عنصراً ملازماً للمزاج النسوي ، اعود ضاحكة من قلبي الذي
تمتع لحظة باستقلاله التام وقام يناطح صخرة الصحافة المنيعه -
استغفر الله ! غنيت صرح الصحافة المنيع .

سى

الى جبران

في ١٥ يناير سنة ١٩٢٤

... جبران ! لقد كتبت كل هذه الصفحات ضاحكة لأتحايد كلمة الحب . ان الذين لا يتاجرون بمظهر الحب ودعواه في السهرات والمراقص والاجتماعات ينمي الحب في اعماقهم قوة ديناميكية رهيبه قد يغبطون الذين يوزعون عواطفهم في اللألاء السطحي لانهم لا يقاسون ضغط العواطف التي لم تتفجر ، ولكنهم يغبطون الآخرين على راحتهم دون ان يتمنوها لنفوسهم ، ويفضلون وحدتهم ويفضلون السكوت ويفضلون تضليل قلوبهم عن ودائعها ، والتلهي بما لا علاقة له بالعاطفة . يفضلون اي غربة واي شقاء - وهل من شقاء وغربة في غير وحدة القلب ؟ - على الاكتفاء بالقطرات الشحيحة .

ما معنى هذا الذي اكتبه ؟ اني لا اعرف ماذا اعني به . ولكنني اعرف انك محبوبي واني اخاف الحب . اني انتظر من الحب كثيراً فآخاف ان لا يأتيني بكل ما انتظر . اقول هذا مع علمي بان القليل من الحب كثير . الجفاف والقحط واللاشيء بالحب خير من النزر اليسير . كيف اجسر على الافضاء اليك بهذا .

وكيف افطر فيه ؟ لا ادري . الحمد لله انني اكتبه على الورق
ولا اتلفظ به ، لانك لو كنت الآن حاضراً بالجسد لهربت خجلاً
بعد هذا الكلام ولأخفيت زمناً طويلاً . فما ادعك تراني الا
بعد ان تنسى .

... حتى الكتابة الوم نفسي عليها احياناً ، لاني بها حرة كل
هذه الحرية.. اذكر قول القدماء من الشرقيين : انه خير للبنت
ان لا تقرأ ولا تكتب ؟ ان القديس توما يظهر هنا . وليس ما
ابدي هنا اثر الوراثة فحسب ، بل هو شيء ابعد من الوراثة . ما
هو ؟ قل لي انت ما هو هذا . وقل لي ما اذا كنت على ضلال
او هدى فاني اثق بك واصدق بالبداهة كل ما تقول . وسواء
أكنت مخطئة او غير مخطئة فان قلبي يسير اليك ، وخير ما يفعل
هو ان يظل حائماً حواليك يجرسك ويحنو عليك .

... غابت الشمس وراء الافق ومن خلال السحب العجيبة
الاشكال والالوان ، صحصت نجمة لامعة واحدة ، هي الزهرة
آلهة الحب . أترى يسكنها كارضنا بشر يحبون ويتشوقون ؟
ربما وجد فيها من هي مثلي ، لها واحد جيران ، حلو بعيد هو
القريب القريب ، تكتب اليه الآن والشفق يملأ الفضاء وتعلم ان
الظلام يخلف الشفق وان النور يتبع الظلام ، وان الليل سيخلف
النهار ، والنهار سيتبع الليل مرات كثيرة قبل ان ترى الذي

تجبه فتسرب اليها كل وحشة الشفق وكل وحشة الليل فتلقي
بالقلم جانباً لتحتمي من الوحشة في اسم واحد : جبران .

ماري زياده

الى جبران

في ٩ كانون الثاني سنة ٩٢٥

... لقد قصصت شعري . وعندما ترى من صديقاتك بعد
اليوم يا جبران من هن في هذا الزم يمكنك ان تذكرني وتقول
هن في شرك انك تعرف من تشبهن . كنت الى شهر رغبة
في التخلص من هذه الذوائب التي يقولون ان طولها يدا في قصر
عقل المرأة ، وهو محض افتراء طبعاً . ولكن عندما رأيت شعري
بملكته وتموجه الجميل وعقابه الجريئة مطروحاً امامي تداعبه
يد المزين شعرت باسف على هذه الحسارة ، غير ان المزين طيب
خاطري بعبارات تكسرت فيها الكلمات الالمانية والايطالية ،
وهو روماني على ما يقول فهل كان في وسعي ان اضحك؟ فمضى
يصف لي جمال الشعر القصير ومنافعه ومميزاته لا سيما وانه ، على
ما زعم المزين الصالح ، يليق لي كثيراً ... وسألته الى كم امرأة
يقول كل هذه الكلمات فاجاب : « اني فيلسوفة » . أرايت
هذه الفيلسوفة التي تسعى الى قص شعرها ثم تحزن عليه ثم تضحك
لان المزين يعزها عن فقده بكلمات مسرحية . واين تلك الفلسفة
والفتاة المذكورة تحدث بهذا الحديث عن شعر قائم هو شعر

البدواة والسحرة ، تحدث فناناً شاعراً شغف بشعر الحضارة
والشقرة . فهو لا يروقه الا الشعر الذهبي . ولا يتوغم الا بجمال
الشعر الذهبي . ولا يحتمل في الوجود الا الرؤوس ذات الشعر
الذهبي .

مى

الى جبران

في ١١ آذار سنة ١٩٢٥

صديقي يا جبران

لقد توزع في هذا المساء بريد اوروبية واميركة ، وهو الثاني من نوعه في هذا الاسبوع ؛ وقد فشل املي بان تصلني فيه كلمة منك . نعم اني تلقيت منك في الاسبوع الماضي بطاقة عليها وجه القديسة حنة الجميل ، ولكن هل تكفي الكلمة الواحدة على صورة تقوم مقام سكوت شهر كامل .

... لا اريد ان تكتب الي الا عندما تشعر بحاجة الى ذلك او عندما تنيلك الكتابة سروراً ، ولكن اليس من الطبيعي ان اشرب الى اخبارك كلما دار موزع البريد على الصناديق يفرغ فيها جعبته ! أيمكن ان ارى الطوابع البريدية من مختلف البلدان على الرسائل ، حتى طوابع الولايات المتحدة وعلى بعضها اسم نيويورك واضح ، فلا اذكر صديقي ولا اصبو الى مشاهدة خط يده ولمس قرطاسه .

... ولتحمل اليك رقعتي هذه عواطفي فتخفف من كآبتك

ان كنت كثيراً ، وتؤاسيك ان كنت في حاجة الى المؤاساة .
ولتقوك اذا كنت عاكفاً على عمل ولتزد في رغدك وانشراحك
اذا كنت منشراحاً سعيداً .

مارى

الى جولييا طعمة دمشقية

شباط سنة ٩٣١

كتبت مي هذه الرسالة الى السيدة جولييا طعمة دمشقية قبل وفاة امها
بأيام قليلة ، وقبل وفاة جبران بشهرين . وبعدها انقطعت
عن الكتابة مدة طويلة .

عزيزتي

ساحيني يا عزيزتي على بروقيتي ولكن لا تساحيني على تأخري
ولا تلتسمي لي لدى اخواتنا اعضاء الاتحاد عنراً . لكن الحق
ان تعضن فتقلن في كل ما قاله الشاعر الذي نسيت اسمه في شيء
نسيت ما هو بالضبط !

ولكني اود ان اقول ان كل هذا الابطاء كان في الوسع
تفاديه لو انت عينت تاريخاً ما ، فقلت لي مثلاً بواضح العبارة :
سنصدر مجموعتنا في تاريخ كذا . لست اقول هذا للاعتذار .
لا ، لا . ولكن لانبئك ان وفرة ما لدي من المشاغل ترغمني
على القيام بالامر الذي ليس في وسعي تأجيل تاريخه . والامور
التي لا تاريخ لها او جلها عادة مهما كانت عزيزة علي ، اثيرة لدي .
كلمة اخرى عن سلوى التي قرأت في احدي صحف بيروت

انها ترأست جلسة في المدرسة وانها القت خطاباً وانها كانت في
وقفتها تلك آية ... وعندما قرأت ذلك نسيت الموضوع لأرى
بين الحاضرين عمنين زرقاويين نيوتين وقد ملأتهما دموع الفرح .
اسأل الله ان يملأ دائماً عينيك بدموع الفرح فهي الدموع التي تفيض
على القلب معنى جود الباري ومحبه للخلائق التي يجلبها بنوع خاص .
سلاماً ، يا عزيزتي ، سلاماً لك ولاخواني اعضاء الاتحاد .

مى

الى نسيبها الدكتور جوزف زياده

القاهرة في ٢٨ ايلول سنة ١٩٣٥

عزيزي جوزف

منذ مدة طويلة لم اعد اكتب . وكلما حاولت ذلك شعرت بشيء غريب يجمد حركة يدي ووثبة الفكر لدي .

... اني اتعذب شديد العذاب يا جوزف ، ولا ادري السبب ، فانا اكثر من مريضة ، وينبغي خلق تعبير جديد لتفسير ما احسه فيّ وحوالي . اني لم اتلم ابدآ في حياتي كما اتلم اليوم ، ولم اقرأ في كتاب من الكتب ان في طاقة بشري ان يتحمل ما التحمل . وددت لو علمت السبب على الاقل . ولكني لم اسأل احداً الا وكان جوابه : لا شيء ، انه وهم شعري تمكن مني .

لا ، لا ، يا جوزف . ان هناك امراً يمزق احشائي ويميتني في كل يوم ، بل في كل دقيقة .

... لقد تراكمت علي المصائب في السنوات الاخيرة وانقضت على وحدتي الرهيبة — التي هي معنوية اكثر منها جسدية —

فجعلتني اتساءل كيف يمكن عقلي ان يقاوم عذاباً كهذا .
وكان عزائي الاوحد في محنتي هذه مكتبي ووحيدتي الشعرية ،
فكنت اعمل واعمل كالحكومة بالاشتغال الشاقة لعل انسى فراغ
مسكني ، انسى غصة نفسي ، بل انسى كل ذاتي .

... انه ليدهشني حقاً كيف اني استطعت ان اكتب هذه
الرقيمة . ولعل الفضل في هذا يعود جزئياً الى اللغائف التي
ادخلتها ليل نهار — انا التي لا عهد لي بذلك — ادخلتها لتضعف
قلبي ، هذا القلب السليم المتين الذي لا يزال يقاوم ...
واسلم لابنة عمك

ماري

من مى الى الرب محالى

القاهرة في ١٥ اغسطس ١٩٣٩

صديقي العزيز جار الوادي وسيده

نحن الآن في عشية عيد العذراء ، غنيت عيد انتقال ستنا
مريم الى السماء ، وناقوس جيران الرهبان آخذ في القرع والترنم ،
يدعو الى « زياح » المساء . بيد ان ترنيمة افرنجية ومتحضرة
ارستوقراطية ، لا تلبث ان تدرك نهايتها بعد دقيقة او دقيقتين .

فأين منها شدو الاجراس اللبنانية ، ذلك الشدو الشرقي
البلدي الديمقراطي ينطلق من كل صوب في الاعالي والاداني ،
ويحتاج كل حيثز من اقطاب الافق . مازجاً اصداء القمم باصدا
الوديان حتى ليملاً الهواء عزيزاً وحنيناً ساعات طويلات وينسج
من شتيت انغامه سيمونيا لبنانية ولا « سيمفونيات بتهوفن » .

وهل في وسعي وانا في مصر ، ان لا تجرد الساعة — مرغمة —
من الشعور بوجودي هنا لأحس اني في « فريكتكم » الخالدة
مقيمة ، اجلس على سطيحة عمو ابي سلمون ، ظهري الى صنين
والجرد جهتي اشهد عنده وداع الشمس لهذه الناحية من الارض ،

على وقع رنين الاجراس .

اني الآن فعلاً هناك ، اعيش تلك الثواني على مهل وفي كل
ثانية من المتعة الفنية وحرية الحركة ، ما يملأ عامماً بطوله ، في
تقديري انا التي تجرعت مرارة السجن وعرفت شقاء الضغط والاسر .

صحيح اني قضيت ثلاثة اعوام في لبناني الحبيب المحبوب واني
عانيت منه ما عانيت ممن عانيت وكيف عانيت ، وان انقذني
بعند المنقذون ؟ واني حلت في رأس بيروت شهوراً واصطفت
في « الفريكة » شهوراً متقلبة في شتيت الغمرات ، حتى لكأني
بها في بحر متلاطم .

الآن ولما اخلص بعد من تلك الاعاجيب الرهيبة ، الآث
اشك في بعض اوقاتي ان ذلك حدث يقيناً . أيجد لي كل
ذلك بما شهد اصحابي وبما لم يشهدوا ، فلا اموت ولا يبيض مني
الا الشعر ، أيجد كل ذلك واعرف من طبيعة الشر في الانسان
اكثر جوانبها ادهماً وفضاعة ومراوغة فابقي على ما انا واثقة
بطبيعة الخير في الانسان ، مطمئنة الى عدل الحياة شغوفاً بكل
صنوف الحياة ، نازعة الى كل مثل سام وكان عمري ونشاطي
يتجددان كل صباح مع شروق الشمس ؟

ارأيت حياتك انساناً غيري في مثل هذه الغباوة ؟ ومع
ذلك فهناك امور تغيرت عندي او انني انا تغيرت في امور ، لست

اطبق الآن ان يؤلمني او يزعجني احد ، ولست انيل الناس ثقى
شاني من قبل . وهذا دليل على ان في داخل نفسي شيئاً من
الشيب كذلك ... ما علينا .

اهنئك بدون كيخوتك الكبير ، واشكر لك ما اتحفني به
من صورته المصغرة وشعاره الثلاثي الركين ، اما قولك ان
السياسة في تلك البلاد عاطفية دون كيخوتية فظريف جداً .
وذو مغزى بنوع بعيد . الا انه يعيد اليّ ذكرى حديثنا .
ذكرى حادثة جرت لجدتنا المصرية القديمة الملكة (حشبتوت) .

تعلم ان علماء الآثار الذين يباشرون الحفريات في هذه الديار
كانوا قد عثروا فيما عثروا عليه ، على رأس جميل جداً لهذه
الملكة التي كانت جميلة جداً ؛ وبين عشية وضحاها اختفى الرأس
الجميل ، ولم يكن بين علماء الاثريات في مصر من يعلم كيف
اختفى واين طار ؟ ومر زمن يسير واذا برأس الملكة في متحف
برلين ! فانبورت الصحافة المصرية تصيح بملء صوتها ، مطالبة سفيرنا
في برلين باحضار رأس الملكة بصورة رسمية . فاستمهلتها الحكومة
الالمانية اياماً ريثما يتمكن المستشار هتلر من زيارة المتحف وتقديم
فروض الاجلال لرأس الملكة المصرية قبل مغادرتها ارض الريخ ،
وتحدد موعد تلك الزيارة في خلال اسبوع ، وتمت تلك الزيارة
في موعدها ، الا ان الرأس ظل في مكانه . علام ؟ لان المستشار

العظيم رجل فن وذوق وعاطفة ، ما كادت عينه تقع على الملكة
الجميلة حتى هام في حبها . فمن ذا الذي تحجر قلبه الى درجة
التفريق بين هذين الحبيبين ؟

وعلى ذلك ما زالت حيث كانت ، ومحبتها لا يفرط بها .
استسلم لسرور الكتابة اليك ناسية انك ضيق الوقت كثير
الاشغال ، فاقف هنا على ان استأنف الحديث في فرصة اخرى .
سلامي للست سعدى ولأخينا البيروتى او البيروتوس كما تشاء
وللصادريين جميعاً ولأصدقائي جميعاً ولايى سامون والست نوافل
والاسطى سامون واهل الفريكة رجالا ونساء وشيوخاً وشباباً
واطفالاً ... يا لطيف . شكري الحار لآخينا السنيور البيروتوس
لتفضله بصورة الفريكة . انه كثير الافضال وهذا بعض افضاله
وشكر من درجة الحرارة نفسها او بمزيد من الارتفاع الى
صديقنا البارع ببينو حويك ، هل غير اسمه ؟ المجد لريشته التي
جعلت مشاهد الفريكة ماثلة في مكتبي هذا وآمل ان اكتب
قريباً لشيخ البلد البيروتوس .

وددت ان اصف لك مبلغ ما اشعر به من الشكر لما شهدته
من همتك وارجيحتك في انتقادي وفي مؤاساتي وفي تشجيعي ابان
تلك المحنة كلها ولكن شكري لكم جميعاً هو الجو الذي يحيط بي
وهي الروح التي تملي علي كل كلمة اخطها وهو التسبيح الذي تسبح

فيه ايامي ولياليّ انه رحيم شامل كنجدتكم لي . دم كما انت يا
اخا الهمم واسلم على ما اتمناه لك ولجميع الذين تحبهم من خير
وهناء .

مى

من مي الى الريحاني

هذه اخر رسالة كتبها «مي» الى الريحاني من مصر ، وقد تكون
آخر رسالة كتبها في حياتها :

صديقي العزيز الاستاذ الريحاني :

لن وصولك الى اول مرفأ شرقي بعد هذا الغياب في امريكا ،
ارحب بك باسمي وباسم الادياء الذين يحبونك ، وباسم هذا الشرق
الفخور بريحانه العبقري .

ولشد ما فرحت لهذا الخبر ، لان وجودك في البلاد موسم
فرح مي انا التي انتظر عودتك هذه منذ شهور ستة ، منذ قدمي
الى مصر ، وكنت قد كتبت منذ ثلاثة او اربعة اسابيع الى
عزيزنا البوت اسأله عنك وعن موعد مرورك بالمياه المصرية لا كون
في استقبالك بالمرفأ ، فيجاء الرد متأخراً جداً اذ نحن الان في
الساعة الثانية بعد الظهر ، وليس امامي سوى قطار الساعة الثالثة .
ومهما اسرعت في الاستعداد للسفر فلن ادركه ، وشؤوني
موزعة ، والعمال في البيت يشتغلون ، فلا استطيع ان اصرفهم
فجأة . ولا استطيع ان الغي المواعيد والشؤون المنظمة لغد .

واما قطار الساعة ٨ فيوصلني الى الاسكندرية حوالي منتصف الليل ، فأدور في تلك الساعة وحدي ابحث عن مكان في فندق .. بقي قطار الساعة الحادية عشرة الذي يقضي الليل بطوله في الطريق . فاذا سافرت به ضمنت لنفسى ليلة ارق فرايتني غداً على غير ما يرضيك . سيما وان صحتي على غير ما يرام في هذا الاسبوع حيث التعب الطويل المضني الذي انفقته وانفقته الآث على تنظيم هذا البيت ، والحر الذي لا يطاق ، قد ارهقاني واضعفاني بحيث اضطر الى ان امكث في السرير ساعات كل يوم طلباً للراحة . من اجل كل ذلك اخشى ان اكون غداً فيما لو سافرت ، في حالة تزعجك ولا ترضيني ولا تنيلني الغاية من السرور بمشاهدتك والتحدث اليك والاصغاء الى اخبارك من الكثير الذي اود ان اعرفه عن رحلتك ومحاضراتك .

وهكذا . انت تمر على بعد ثلاث ساعات من المكان الذي انا فيه مقيمة ، وانا حرّة . ومع ذلك ليس في مقدوري ان اسارع الى ملاقاتك كما كنت ابغي تحقيقاً للامنية التي عللت بها نفسي شهوراً طويلة . وهكذا الانسان يقدر ، والظروف من ورائه تصرف .

ان روحي تستقبلك في المرفأ المصري ، على رصيف المياه المصرية ، تحت سماء مصر التي هي سماء الشرق الذي تحبه كثيراً .

بل منذ الساعة ، قبل ان تقبل على الارض المصرية ، وانت بعد
في عرض البحر ، تسير اليك روحي خيلاً اثيراً يطوف بك
على سطح الباخرة ويناجيك باعذب ما يتناجى به صديقات ،
ويسدي اليك الشكر خالصاً لما انعم به الان من الحرية البشرية
المألوفة ... فان لك في هذا النجاح قسطاً باهراً وافراً . وان
روحي لتسر بل بابي هيئاتها لتقف بجانبك على سطح الباخرة .

ومن روحي ذلك اللآلئ الصافي على الامواج ، جاعلاً الامواه
امامك موكباً - موكب اكرام ومحبة وشكران - يسير
بك الى الشط المصري .

واذا بدت في الجو سحابة عند الغروب فهي ترمز الى اسفي
لاني سأحرم غداً فرصة نادرة . ولست اشك في انك مثلي آسف
لاننا لم نجتمع ولو هذه الساعات الوجيزة لدن مرورك
بالاسكندرية .

آسف مثلي ، سيما وان صديقنا العزيز فليكس لن يكون في
استقبالك فتشعر بغيابه وتحزن عليه ، انت صاحب العواطف
الريقة بقدر ما انت صاحب الافكار القديرة . واهاً ، ما اشد
تفجعي عليه وما اضعف يدي دون الكتابة عنه ! اني لا اقوى
على كتابة خطاب تعزية الى اسرته ، لاني انا فقدته كما فقدته
اهله . اقول لك صدقاً ، اني مرضت منذ علمت بوفاته . وكنت

قد صمت على السفر الى الاسكندرية لأعزي أسرته واودع
جثمانه فيخانتني القوة ، ولو ذهبت لمرضت بحيث اضطر الى
ملازمة السرير اسابيع ، هناك في الاسكندرية . وانا ، دون
سائر الناس ، لا يجوز لي ان امض ...

مى

الى ص. (١)

بدون تاريخ

تقولين انك تأملت لاجلي ؟ فانا سعيدة حزينة لانك تأملت لاجلي . ففي الالم يا عزيزتي تجد النفس لذتها القصوى ، هذا امر اكيد ولكنه عسير المنال احياناً . ولكنها الحقيقة . وهل هنالك حب اسمى من ذاك الذي يولده الم الحبيب الذي نحب رغم الالم .. انك يا عزيزتي نفس كبيرة . وانا على يقين بانك تفهميني . وانه ليسرني كل السرور بان احس انك تفهمين شعوري . ان الصداقة لتزرع الحياة ازهاراً .

ص

الى الاتسة سيدوني ريسر مهر (١)

بدون تاريخ

اتقدم اليك يا عزيزتي بهذه الصفحات المسلوخة عن فؤادي .
عندما فقدت بولين التي كنت اهديتها « زهرة الصداقة »
حلت محلها صديقة اشد وفاء منها . وهذه الصديقة هي انت يا
عزيزتي سيدوني . فرسائك الملائى بالعدوبة والمودة والانفتاح
بعثت غير مرة اشعة الشمس الى روحي التي جلدتها الوحدة .
اتعلمين ما يفعل بالقلب الظامى الى البواح هذا الفراغ ، الفراغ
الذي تتركه الصداقة الحقة .

في الليل الحالك الذي تحبببت في دياجيره نفسي القلقة ظهرت
انت يا عزيزتي فكنت كالنور بنوره وحرارته فاجتذبتني صفاتك
السامية ، اجتذبتني ذكاؤك ونبل الفؤاد . كما تجتذب القنبرة
المعردة مرآة براقه .

كوني لي يا عزيزتي ما لم تكنه بولين . وتأكدي بانني لن
انكر الجميل ، اما اذا شاء القدر ان نبقى بعيدين كما نحن فلسوف
احملك في صميمي ما دمت ودامت لي الحياة .

مى

(١) كتبت هذه الرسالة بالفرنسية .

الى فتاة رقيقة

ارخى الشفق سدوله على الارض بطيئاً ،
ولفقت حواشي السحب بخيوط الذهب والفضة ،
وتلاشى ما كان يبدو كبحيرات الياقوت وبرك الزمرد حيال
عرش الغروب ،

وغشت الارض كآبة ربداء ،
وغشت عينيك كآبة ربداء ،
اي شمس تغيب فيك ، ايتها الفتاة ، ولماذا يشجيك المساء
لتغشى عينيك هذه الكآبة الربداء .

الا احرصي على قلبك ايتها الفتاة !

* * *

تجلت الشمس في الاوج تحت رواق الفلك ،
والاشعة تغازل الازهار وتوسع المياه عنافاً وتلويناً ،
والمنازل تسطع كحجارة كبيرة من نور ،
وانتعشت جميع الاشياء انتعاش من خرج من ازمة وانفرج ،
اما انت فتلوينين جائعة عطشى ،
تقولين ما يجب الا يقال وتفعلين ما يجب الا يفعله ،

ثم تأسفين على القول والفعل وتعودين تلوين ،
 ووراء الملل والسامة وهيج فيك واحتدام ،
 اخبريني ما بك ، ايتها الفتاة
 لماذا اراك عند نافذتي ترقبين ما ليس بالموجود وتشتاقين ما
 س بالبادي ؟
 واذا تحولت عنك الى مرآتي رأيت هناك وجهك مفعجاً
 حزيناً ؟
 اهو امل غزا نفسك فثقل على فؤاد منك اعتاد القنوط ؟
 ام قرب تهليل الامل يأس ينتجب وشعور بالفشل طامساً
 خالط الرجاء ؟
 جميع الاشياء انتعشت انتعاش من خرج من ازمة وانفرج
 وانت اي علة تضنيك فتلوين وتبأوهين ؟
 الا احرصى على قلبك ، ايتها الفتاة !

* * *

جاء المساء مرة اخرى ، جاء المساء وتبعه الليل ،
 وعيناك قرب السراج جامدتان جمود من يتأمل جثة فاشعر
 بان شيئاً فيك امسى جثة .
 لقد استسامت لجمال المساء فطعنك المساء بسكين منه سري يقطر
 دماً وظلاماً

اخضعت نفسك لسحر الغروب ولم تحرصي على قلبك !
اما الآن وقد فرطت به فاحرصي على الجرح المنفتح فيه
احرصي على جرح قلبك ايتها الفتاة !

مى

الى صديقة

بدون تاريخ

اجابت مي صديقة لها سألتها في محتتها الاخيرة لماذا اضربت عن الطعام
ولماذا ترفض استقبال الناس والتحدث اليهم .

... اضربت عن الطعام لاني اشتييت الموت بعدما لاقيت
من اضطهاد وعسف في مصر حيث بيع اثاثي ومكتبتي بالمزاد
العلني . او في لبنان حيث لاقيت وسائل غريبة لحمل الناس
على الاعتقاد بجنوني .

وارفض استقبال الناس والتحدث اليهم . لان الناس الذين
زاروني عند وصولي الى بيروت كانوا يحدثنني باحاديث تدل على
اعتقادهم بجنوني... على ان هؤلاء معذورون الى حد ، فقد
زعموا اني احرقت مكتبتي وهي اعز ما املك في الحياة ، لما فيها
من مؤلفات تحمل تواقيع اصحابها وعبارات اهداهم كما زعموا
لهم اني حاولت احراق اطفال ... فكان لهم ان يصدقوا .

مي

الى استير واكيم

في نيسان سنة ٩٣٨

في محنتها القاسية راحت مي تبوح الى الممرضة استير واكيم بما لاقته
من اضطهاد وآلام فبعد ان اخبرتها بما فعله معها اصدقائها في
مصر ليستنمروها وهي بعد على قيد الحياة قالت :

... وجاؤني في مصر ، وانا بعد في حزني يقولون :
سافري يا مي الى لبنان . في لبنان اهلك ، حرام ان تبقي
هنا وحدك . وحملت نفسي الى لبنان ، على ان اجد في لبنان
سنداً لرأسي التعب وقلبي الممزق ، وعزاء لاحزائي .
وفي لبنان لقيت الغصص مرة ، وفي لبنان حملت الى
العصفورية على اني مجنونة ، وبكلوني بالجاكيت ... وفي
العصفورية ذقت الموت مرات .
وبقيت ١١ شهراً . الى ان نقلت ولا ادري كيف ، الى
هنا . (١)

ص

(١) مستشفى ربيز في بيروت

من انطون الجميل الى مى

في ١٥ نيسان سنة ١٩١٥

عرف انطون الجميل مى منذ بدأت تكتب في « المحروسة » مجلة
ابيا وكان صديقاً له . وقد اعجب بخواطرها التي كانت تدونها
تباعاً بعنوان يوميات فتاة فكتب لها مبدئياً اعجابه .

يا مى .. !

قرأت اليوم ما كتبته في يوميات فتاة عما جال في صدرك
من العواطف اثناء تلك الدقائق الوجيزة التي قضيتها بين صور
مشاهير الكتاب ، في احدى غرف الجامعة المصرية ، وتلوت على
مهل كمن يتلو صلاة ، او يتروخ بانشودة ما اوحى اليك من الالهام
منظر امراء الفكر مصورين على الجدران من ديكارات ،
وكورناي ، وراسين ، ومولير ، الى فولتير وهوجو .

ما اجمل هؤلاء الرجال ، بل انصاف الآلهة ، تديع مفاخرهم
بعد اجيال فتاة شاعرة ، وتمجد ارواحهم بلغة لم يعرفوا منها الا
الاسم ، وليدة جبل الزيتون (١) ، وربيبية جبل الارز ، وفتاة

(١) ولدت مى في ناصرة فلسطين وتربت في لبنان وعاشت في مصر .

وادي النيل تنشر مآثر عظماء أبناء السين بلغة سكان المضارب !
تلك يامي .. ما اجمل خلود الفكر ، اليس هو ادعى الى
الغبطة من خلود النفس ؟ ! .

انت لست بالغربية عن هذه الارواح الخالدة ، كما انها ليست
بالغربية عنك ، فمحبو الجمال كمجي الحقيقة . اولاد طين واحد ،
بل ابناء اسرة واحدة .

انا لم تقع عيني على هذه الصور التي وصفتها ، ولكني
اشك في ان المصور الذي رسم بالوانه هيكلها الفاني قد اجاد
اجادتك حيث صورت بالفاظك وعبارتك روحها الخالدة ،
وفكرها الباقي .

انا لا اكتب اليك مقرظاً ، فلقد طالما عرفك المعجبون
بادبك الزاهر ، وعلمك الوافر ، كاتبة تستولد فؤادها الرقيق اسمى
العواطف ، فتلبسها بما تحيكه خيلتها الفنية حلة قشبية ، وتجملها
بجواهر عقلها السليم ، فلا بدع اذا وصفت فابدعت .

لا .. انا لا اكتب لاقرظ تلك التي تقرظها اعمالها وحياتها
الفكرية ، بل لادون خواطر جالت في الصدر لدى تلاوة تلك
الصفحة من اليوميات ، فحملت القلب على انتاج التأمل والتفكير ..
دونت هذه الافكار ، كما دونت تأملاتك اللطيفة في تلك الغرفة .

انطون الجميل

الى اسرة الريحاني

القاهرة في اواخر آب سنة ١٩٤٠

كان لموت الريحاني وقعه الصاعق على مي ، فارسلت هذه البرقية
المؤثرة وكان قد الم بها المرض العضال فانقطعت عن كل جهد
فكري .

اسرة الريحاني - الفريكة

يا آل الريحاني الكرام افي وسعكم ان تعزوني في فقيدي
وفقيدكم وفقيد الشرق العظيم ؟

مي

فهرست

صفحة		صفحة	
٦٠	الى الفتاة المصرية	٣	مقدمة
٦١	الى الدكتور صروف	١١	الى باحثة البادية
٦٥	الى جبران	١٦	الى جبران
٦٨	« « +	١٨	الى الانسة مي من الباحثة
٧٠	« « +	٢٢	الى باحثة البادية
٧٢	الى جوليا طعمه دمشقية	٢٧	الى الساعة المفقودة
٧٤	الى نسيها الدكتور جوزف زياده	٣٢	الى لطفي السيد
٧٦	من مي الى الريحاني	٣٧	الى يعقوب صروف
٨١	« « « «	٤٠	« « « «
٨٥	الى ص. ر.	٤٢	« « « «
٨٦	الى الانسة سيدوني ريجير	٤٤	« « « «
٨٧	الى فتاة رفيقة	٥٠	الى الدكتور صروف
٩٠	الى صديقة	٥٣	الى جبران
٩١	الى امشير واكيم	٥٦	الى جوليا طعمه دمشقية
٩٢	من أنطون الجميل الى مي	٥٧	الى الدكتور صروف
٩٤	الى اسرة الريحاني	٥٩	الى الغريب

①

إقرأ كتاب

رسائل جبران

صفحات مطوية من أدب جبران أبحر
مرآة جليلة تنعكس عليها حياة جبران خليل جبران في
مختلف حالاتها :

في الألم

وفي اليأس

كما في الغبطة

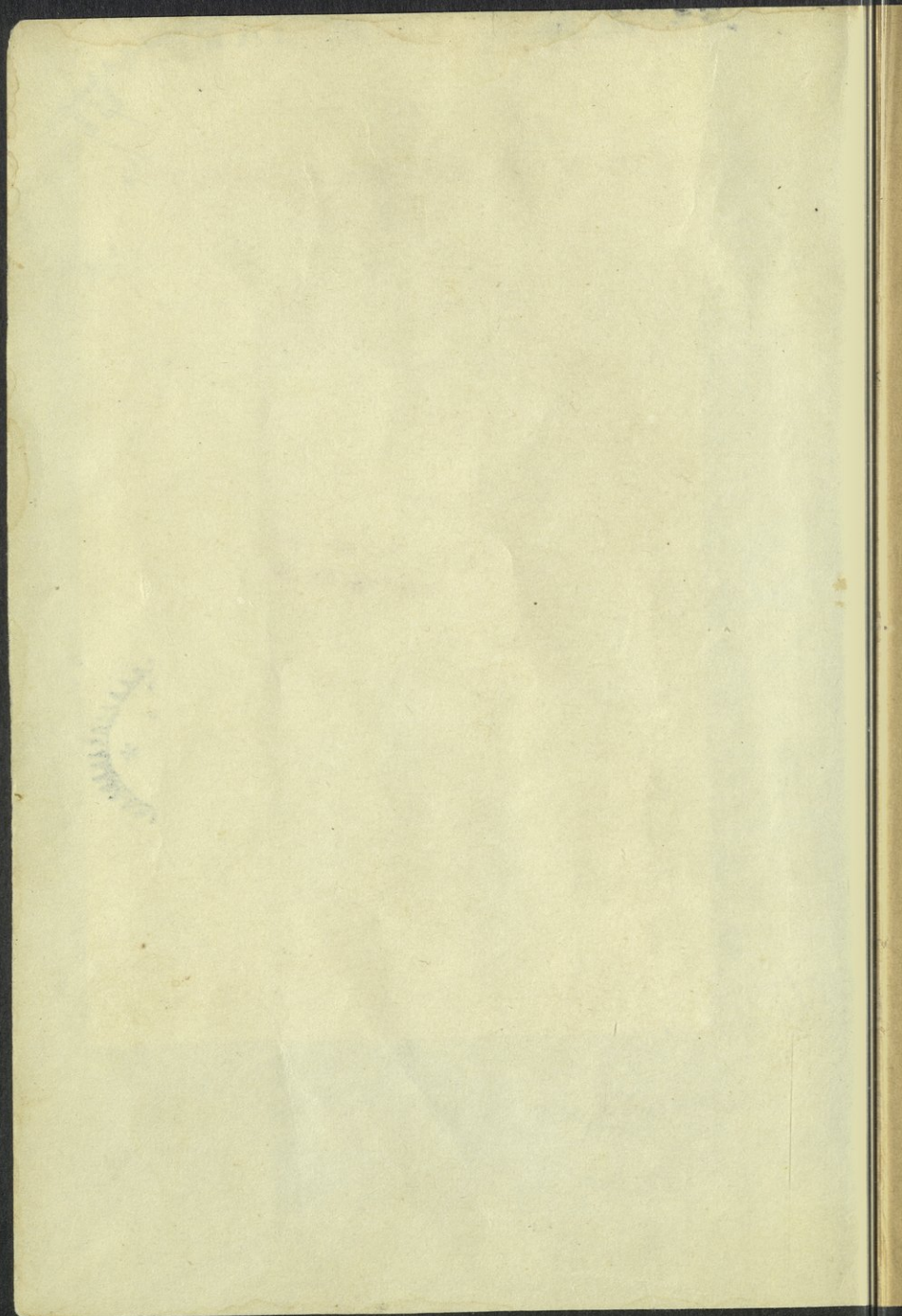
وفي نشوة الحب

علاقاته العاطفية ، وانطباعاته الخاصة ، وآماله وأمانيه ،
كل هذا يعبر عنه جبران بصراحة في رسائله الودية الى :

مى زياده ، الى أمين الغريب ، الى ميخائيل نعيمة ،

الى نسيم عريضة ، الى يوسف الحويك ، الى أبيه ، الى

ابن عمه ، الى الرفاق والأقارب .



DATE DUE

Not To Be Taken Out
Reserve Reading Room

Not To Be Taken Out
Reserve Reading Room

Education Dept. A

جير، جميل
رسائل مي: صفحات وعبرات من ادب م

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01042918

American University of Beirut



892.78
Z82rA

General Library

892.78

Z82rsA

C.I